مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

مجلة فصلية تُعنى
بالمعرفة الدينية والثقافية

تصدر عن
العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
مركز الدراسات والمراجعة العلمية

العدد الواحد والعشرون
ربيع الأولى-١٤٤٥هـ-أيلول ٢٠٢٣م

مركز الدراسات والمراجعة العلمية
Center for Studies & Scientific Review

أوراق معرفية

المشرف العام

سماحة السيد أحمد الصافي

الإشراف العلمي

السيد ليث الموسوي

رئيس التحرير

السيد عقيل الياسري

مدير التحرير

الشيخ حسن علي الجوادي

سكرتير التحرير

الشيخ حسين مناحي

التدقيق اللغوي

مصطفى كامل محمود

أحمد الحسناوي

التصميم والإخراج الفني

علاء سعيد الأسدي

المحتويات

أوراق قرآنية

١- أحاديث العمل بآية النجوى/ زعيم الطائفة السيد أبو القاسم الخوئي ١٠
٢- فساد بني إسرائيل / الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ١٤
٣- للصراط المستقيم مراتب من الوجود / السيد عبد الأعلى السبزواري ١٥
٤- النبي صلى الله عليه وآله وعلم الغيب/ الشيخ محمد جواد مغنية ١٧
٥- الحور العين / الشيخ محمد هادي معرفة ٢٠
٦- حجية ظواهر القرآن / الشيخ محمد مهدي الآصفي ٢٣

أوراق فكرية

١- رفض فكرة الصدفة والأدلة على ذلك/ الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ٣٢
٢- الشواهد العقلية على فضيلة العلم وشرفه/ الفيض الكاشاني ٣٩
٣- عذاب القبر/ العلامة مقداد السيوري ٤٢
٤- تكامل الجنسين ونقد الاتجاهات الشاذة الحديثة/ السيد محمد باقر السيستاني ٤٤

أوراق علمية

١- تحريم الابتداع في الدين/ الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي ٤٨
٢- الغناء/ الشيخ جعفر كاشف الغطاء ٥١
٣- تزويج الفاسق/ الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري ٥٥
٤- تاريخ الإحساس بمشكلة اختلاف الحديث/ تقريرات بحث السيد السيستاني ٥٧
٥- لماذا اختلف الجمهور في كون التقصير رخصة أم عزيمة؟/ السيد محمد رضا السيستاني ٦١
٦- حديث معاشر الأنبياء لا نورّث/ الفقيد الراحل السيد محمد مهدي الخرسان ٦٧

أوراق تاريخية

١- حزن الشيعة له جذور أصيلة/ فقيه أهل البيت السيد محمد سعيد الحكيم ٧٠
٢- نشأة أبي الفضل العباس عليه السلام/ السيد عبد الرزاق المقرم ٧٤

٣- محمد بن أبي بكر (رضوان الله تعالى عليه)/ السيد محمد بحر العلوم ٧٩
٤- وفاة الرسول ﷺ/ السيد محمد تقي الحكيم ٨٧

أوراق اجتماعية

١- المطلوب من الرئيس أشياء/ العلامة الحلي ٩٢
٢- الأمراض الوراثية/ الشيخ محمد تقي فلسفي ٩٥
٣- الشذوذ الجنسي/ الشيخ باقر شريف القرشي ٩٦
٤- نصائح للشباب/ الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء ٩٩

أوراق ثقافية

١- كلام حول نهج البلاغة/ السيد محسن الأمين ١٠٤
٢- مع الصحيفة السجادية هدفاً/ السيد محمد رضا الجلالي ١١٠
٣-التندير/ ابن أبي الإصبع ١١٤
٤- مهمة النقد ووظيفته وغايته/ مصطفى عبد الرحمن إبراهيم ١١٦
٥- الشعر الحسيني/ الشيخ جعفر الخطي ١١٨
٦- بعض الحقوق / الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام ١٢٠

الورقة الأولى

العلم والعلماء

بذل علماء الطائفة جهداً كبيراً لا يعوض بمال او عوض دنيوي مهما كان اثره، وقد امتد عبر قرون متواصلة من الزمن، كان ذلك منذ تأسيس الأئمة الأطهار عليهم السلام في عهد الصادقين عليهما السلام حيث كانت العلوم تنقل بواسطة الرواة والأصحاب ويتحملون الصعاب من اجل تدوين وحفظ كلام أهل البيت عليهم السلام؛ وبعض الكلام يحتاج الى جهد كبير وحافظة نشطة لحفظه مثل خطب الامام علي عليه السلام والادعية الطوال والتي تعتبر كنزاً كبيراً ورثناه من ائمتنا الكرام عليهم السلام وهكذا سار علماء الطائفة منذ معاصرتهم أئمة الهدى والى يومنا هذا، يحفظون العلم ويدرسونه ويكتبون الى الناس في كل زمن ما يناسبهم ، ويدفعون الشبهات والاطروحات التي تجلب الفتن والمصائب والمحن، وهم بذلك يقفون على الثغور يحملون سلاح الوعي والعلم من اجل الحفاظ على هذه الامة من غدر الغادرين، ومن هنا يتبين عظمة دورهم من خلال عظمة الموضوع والمهمة التي يشرفون عليها ويمارسونها ويحفظونها كل هذه المدة منذ انقطاع الحجة عليه السلام وغيابه عن الناس والى ظهوره المبارك ان شاء الله تعالى، فانّ فضل العلم يكاد لا يخفى على احد، فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: **«من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين، فوالذي نفسي بيده، ما من متعلّم يختلف إلى باب العالم المعلِّم إلّا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة،**

وبنى الله له بكل قدم مدينة في الجنة، ويمشي على الأرض وهي تستغفر له، ويمسي ويصبح مغفوراً له وتشهد الملائكة انه من عتقاء الله من النار»[1].

وتندرج هذه الرواية ضمن المضامين الشريفة التي تبين أهمية طلب العلم والتعلم، وكذلك هنالك رواية أخرى تبين فضل العالم واثره، منها ما روي عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال: «**إن العلماء ورثة الأنبياء وذاك أن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً ، وانما أورثوا أحاديث من أحاديثهم ، فمن أخذ بشيء منها فقد أخذ حظاً وافراً ، فانظروا علمكم هذا عمن تأخذونه فإن فينا أهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين**»[2].

ان المتتبع لنهج علماء الطائفة وادوارهم سيجد اثرهم الواضح على المجتمع المؤمن، وتوزعت ادوارهم على مناحي الحياة الإنسانية مثل الأثر المعرفي والثقافي والاثر الإنساني كالرعاية الاجتماعية والاثر الدفاعي امام هجمات الأعداء على مدار العصور، وغيرها من أدوار مهمة.

ومن هذا الامر يتضح أهمية ان يواكب الانسان رحلة العلم والتعلم وعقد الصلة بالعلماء والفقهاء فانهم حصون الأمة وبهم تزهو الامة وترتفع من الجهالة والضعف والانكسار، فقد وجهنا الائمة عليهم السلام الى العناية بالعلماء والانتفاع من نمير علومهم فانهم الصلة الوثيقة بهدي السماء.

ازدان عددنا المعرفي هذا من مجلتنا الغرّاء بطيف من علوم فقهاء ومفكري الطائفة الحقة بمختلف أبوابها لتأتي بهذه الحلة المزدانة الى قرائنا الكرام.

---

(١) بحار الانوار: العلامة المجلسي، ج١،ص١٨٤.

(٢) أصول الكافي: الشيخ الكليني.

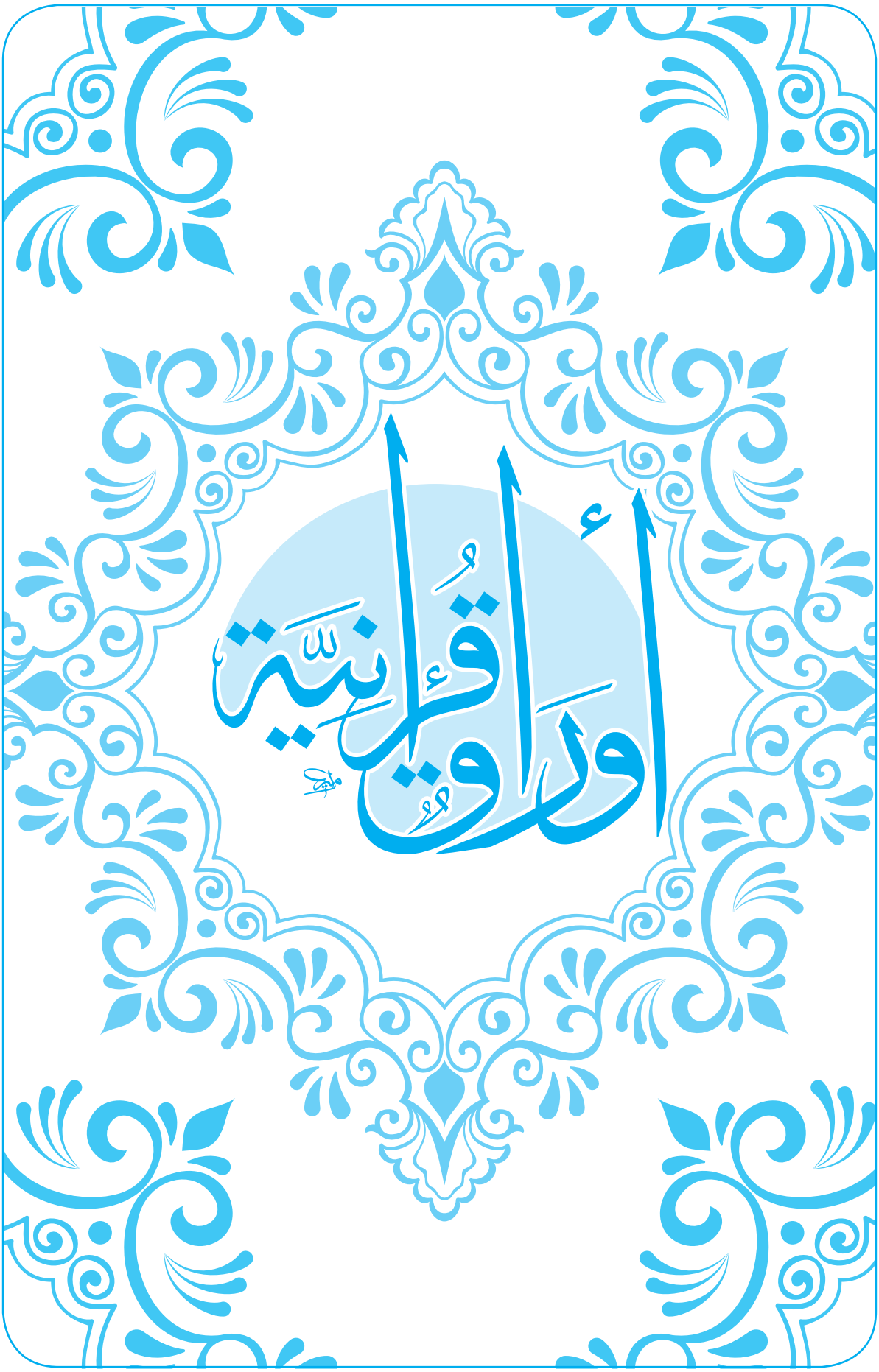
أوراد قرآنية

أحاديث العمل بآية النجوى

زعيم الطائفة
السيد أبو القاسم الخوئي

روى ابن بابويه بإسناده عن مكحول قال: «قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: لقد علم المستحفظون من أصحاب النبي محمد صلى الله عليه وآله أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا قد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني أحد منهم، قلت: يا أمير المؤمنين فأخبرني بهن، فقال عليه السلام: وإن أول منقبة- وذكر السبعين- وقال في ذلك: وأما الرابعة والعشرين فإن الله عز وجل أنزل على رسوله: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ﴾ فكان لي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت إذا ناجيت رسول الله أتصدق قبل ذلك بدرهم، والله ما فعل هذا أحد غيري من أصحابه قبلي ولا بعدي فأنزل الله عز وجل: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ..﴾»[1].

وروى ابن جرير بإسناده عن مجاهد قال: «قال علي رضي الله عنه: آية من كتاب الله لم يعمل بها أحد قبلي ولا

(١) تفسير البرهان: ج ٢ ص ١٠٩٩.

يعمل بها أحد بعدي، كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم، فكنت إذا جئت إلى النبيﷺ تصدقت بدرهم، فنسخت فلم يعمل بها أحد قبلي: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ﴾»[1].

قال الشوكاني: وأخرج عبد الرزاق، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عنه - علي بن أبي طالب - قال: «ما عمل بها أحد غيري حتى نسخت، وما كانت إلا ساعة- يعني آية النجوى-».

وأخرج سعيد بن منصور، وابن راهويه، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه، وابن مردويه عنه أيضاً قال: «إنّ في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي آية النجوى: ﴿إِذَا نَاجَيْتُمُ﴾ كان عندي دينار فبعته بعشرة دراهم، فكنت كلما ناجيت رسول اللهﷺ قدمت بين يدي نجواي درهماً، ثم نسخت فلم يعمل بها أحد، فنزلت: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ..﴾»[2].

وتحقيق القول في ذلك: أن الآية المباركة دلّت على أن تقديم الصدقة بين يدي مناجاة الرسولﷺ خير، وتطهير للنفوس، والامر به أمر بما فيه مصلحة العباد. ودلّت على أن هذا الحكم إنما يتوجه على من يجد ما يتصدق به، أما من لا يجد شيئاً فإنّ الله غفور رحيم.

ولا ريب في أن ذلك مما يستقل العقل بحسنه ويحكم الوجدان بصحته فإن في الحكم المذكور نفعا للفقراء؛ لأنهم المستحقون للصدقات، وفيه تخفيف عن النبيﷺ فإنه يوجب قلة مناجاته من الناس، وأنه لا يقدم على مناجاته - بعد هذا الحكم - إلّا مَن كان حبه لمناجاة الرسول أكثر من حبه للمال.

ولا ريب أيضا في أن حسن ذلك لا يختص بوقت دون وقت. ودلت

(١) تفسير الطبري: ج ٢٨، ص ١٥.

(٢) فتح القدير: ج٥، ص١٨٦ والروايات في هذا المقام كثيرة فليراجع تفسير البرهان وتفسير الطبري وكتب الروايات. وقد تعرّض لنقل جملة منها شيخنا المجلسي في المجلد التاسع من البحار ص ١٧٠.

الآية الثانية على أن عامة المسلمين – غير علي بن أبي طالب عليه السلام – أعرضوا عن مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله إشفاقاً من الصدقة، وحرصاً على المال.

سبب نسخ صدقة النجوى:

ولا ريب في أن إعراضهم عن المناجاة يفوّت عليهم كثيرا من المنافع والمصالح العامة. ومن أجل حفظ تلك المنافع رفع الله عنهم وجوب الصدقة بين يدي المناجاة تقديما للمصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وعلى النفع الخاص بالفقراء، وأمرهم بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وإطاعة الله ورسوله.

وعلى ذلك فلا مناص من الالتزام بالنسخ، وإن الحكم المجعول بالآية الأولى قد نسخ وارتفع بالآية الثانية. ويكون هذا من القسم الأول من نسخ الكتاب – أعني ما كانت الآية الناسخة ناظرة إلى انتهاء أمد الحكم المذكور في الآية المنسوخة– ومع ذلك فنسخ الحكم المذكور في الآية الأولى ليس من جهة اختصاص المصلحة التي اقتضت جعله بزمان دون زمان؛ إذ قد عرفت انها عامة لجميع أزمنة حياة الرسول صلى الله عليه وآله إلا أن حرص الأمة على المال، وإشفاقها من تقديم الصدقة بين يدي المناجاة كان مانعا من استمرار الحكم المذكور ودوامه، فنسخ الوجوب وأبدل الحكم بالترخيص.

وقد يعترض: أنه كيف جعل الله الحكم المذكور «وجوب التصدق بين يدي النجوى» مع عامه منذ الأزل بوقوع المانع!

والجواب: أن في جعل هذا الحكم ثم نسخه – كما فعله الله سبحانه – تنبيها للأمة، وإتماما للحجة عليهم. فقد ظهر لهم ولغيرهم بذلك أن الصحابة كلهم آثروا المال على مناجاة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، ولم يعمل بالحكم غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. وترك المناجاة وإن لم يكن معصية لله سبحانه؛ لان المناجاة بنفسها لم تكن واجبة، ووجوب الصدقة كان مشروطا بالنجوى، فإذا لم تحصل

النجوى فلا وجوب للصدقة ولا معصية في ترك المناجاة، إلّا أنه يدل على أن من ترك المناجاة يهتم بالمال أكثر من اهتمامه بها.

حكمة تشريع صدقة النجوى:

وفي نسخ هذا الحكم بعد وضعه ظهرت حكمة التشريع، وانكشفت منة الله على عباده، وبان عدم اهتمام المسلمين بمناجاة النبي الأكرمﷺ، وعرف مقام أمير المؤمنينعليه السلام من بينهم. وهذا الذي ذكرناه يقتضيه ظاهر الكتاب، وتدل عليه أكثر الروايات. وأما إذا كان الأمر بتقديم الصدقة بين يدي النجوى أمراً صورياً امتحانياً - كأمر إبراهيم بذبح ولده - فالآية الثانية لا تكون ناسخة للآية الأولى نسخا اصطلاحياً، بل يصدق على رفع ذلك الحكم الامتحاني.

النسخ بالمعنى اللغوي:

ونقل الرازي عن أبي مسلم: أنه جزم بكون الامر امتحانيا، لتمييز من آمن إيماناً حقيقياً عمّن بقي على نفاقه فلا نسخ. وقال الرازي: «وهذا الكلام حسن ما به بأس»[1].

وقال الشيخ شرف الدين: إن محمد بن العباس ذكر في تفسيره سبعين حديثاً من طريق الخاصة والعامة تتضمن أن المناجي للرسول هو أمير المؤمنينعليه السلام دون الناس أجمعين... ونقلت من مؤلف شيخنا أبي جعفر الطوسيقدس سره هذا الحديث ذكره أنه في جامع الترمذي، وتفسير الثعلبي بإسناده عن علقمة الأنماوي يرفعه إلى عليعليه السلام أنه قال: «**بي خفف الله عن هذه الأمة؛ لأن الله امتحن الصحابة، فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد احتجب في منزله من مناجاة كل أحد إلّا من تصدّق بصدقة، وكان معي دينار، فتصدقت به، فكنت أنا سبب التوبة من الله على المسلمين حين عملت بالآية، ولو لم يعمل بها أحد لنزل العذاب، لامتناع الكل من العمل بها**»[2].

[البيان في تفسير القرآن]

(١) تفسير الرازي: ج ٨ ص ١٦٧ طبع المطبعة العامرة.

(٢) بحار الأنوار: ج ٩، ص٧٢، وتفسير البرهان: ج ٢، ص١١٠٠.

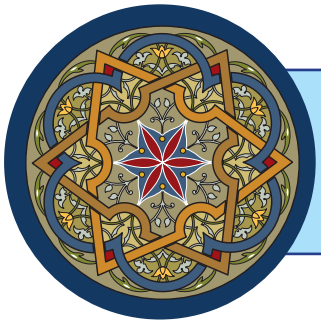

فساد بني اسرائيل

الشيخ ناصر مكارم الشيرازي

﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾، كلمة «قضاء» لها عدّة معان، إلاّ أنّها استخدمت هنا بمعنى «إعلام» أمّا المقصود مِن «الأرض» في الآية بقرينة الآيات الأُخرى هي أرض فلسطين المقدسة التي يقع المسجد الأقصى المبارك في ربوعها.

الآية التي تليها تفصل ما أجملته مِن إشارة إلى الإفسادين الكبيرين لبني إسرائيل والحوادث التي تلي ذلك على أنّها عقوبة إلهية فتقول: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا﴾ وارتكبتم ألوان الفساد والظلم والعدوان ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾.

وهؤلاء القوم المحاربون الشجعان يدخلون دياركم للبحث عنكم: ﴿فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ﴾، وهذا الأمر لا مناصّ منه: ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾.

ثمّ تشير بعد ذلك الى أنّ الألطاف الإلهية ستعود لتشملكم، وسوف تعينكم في النصر على أعدائكم، فتقول: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

وهذه المنّة واللطف الإلهي بكم على أمل أن تعودوا إلى أنفسكم وتصلحوا أعمالكم وتتركوا القبائح والذنوب لأنّه: ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، إنّ الآية تعبِّر عن سُنَّة ثابتة؛ إذ إن محصلة ما يعمله الإنسان مِن سوء أو خير تعود إليه نفسه، فالإنسان عندما يلحق أذىً أو سوءاً بالآخرين، فهو في الواقع يلحقه بنفسه، وإذا عمل للآخرين، فإنّما فعل الخير لنفسه، أمّا بنو إسرائيل، فهم مع الأسف لم توقظهم العقوبة الأُولى، ولا نبهتهم عودة النعم الإلهية مجدداً، بل تحركوا باتجاه الإفساد الثّاني في الأرض وسلكوا طريق الظلم والجور والغرور والتكبّر.

تقول الآية في وصف المشهد الثّاني أنّه حين يحين الوعد الالهي سوف تغطيكم جحافل من المحاربين ويحيق بكم البلاء الى درجة أنّ آثار الحزن والغم تظهر على وجوهكم: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾، بل ويأخذون مِنكم حتى بيت المقدس: ﴿وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.

[تفسير الأمثل]

للصراط المستقيم مراتب من الوجود

السيد عبد الأعلى السبزواري

(الأولى): مرتبة البيان وإتمام الحجة وهي من الله تبارك وتعالى وأنبيائه العظام وأوصيائهم عليهم السلام ويدخل في ذلك جميع الشرائع الإلهية والرسالات السماوية.

(الثانية): مرتبة الاعتقاد.

(الثالثة): مرتبة العمل وهما من وظائف العبد إلّا أن الثاني أشقهما عليه.

(الرابعة): مرتبة ظهوره في النشأة الآخرة ومن هذه المرتبة الصراط في يوم القيامة الذي لا بد من العبور عليه للوصول إلى محل الخلود.

فالعبور وضعي لا أن يكون تكليفياً، إذ لا تكليف في يوم القيامة وإن اختلف زمان العبور وكيفيته تبعاً لاختلاف درجات العابرين ومعنوياتهم.

قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾[1]. بيان للآية السابقة اهتماماً بصراط المنعم عليهم واعتناء بشأنهم وأنه يباين طريق المغضوب عليهم وطريق الضالين فالجملة الأولى وقعت في مقام المدح لعباد الرحمن والأخيرة كأنها وردت في مقام رجم الشيطان ومن تبعه.

والغضب: هو الشدة، ورجل غضوب أي: شديد الخلق. وغضب الله تعالى عقابه دنيوياً كان أم أخروياً أم هما معاً، كما أن رضاه ثوابه، وهما من صفات الفعل لا من صفات الذات.

الضلال بمعنى التحير ويستلزمه الهلاك والغيبة عن المقصود الحقيقي

(١) الفاتحة: الآية٧.

والعقاب والهلاك متلازمان، وإنما ذكرهما معاً بياناً للمبدأ والأثر، فالضلال مبدأ العقاب ومنشأ استحقاقه والعقاب مترتب على الضلال ترتب المقتضى (بالفتح) على المقتضي (بالكسر) وإنما قدم الغضب والعقاب على الضلال إرشادا للإنسان بأن لا يرتكب ما يوجب غضب الله تعالى.

والغضب استعمل في القرآن مع اللعن ومع الرجس ومع العذاب كما في قوله تعالى: ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ وَلَهُمْ عَذابٌ عَظِيمٌ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾[4]، بل ورد في مورد بعض المحرمات أيضاً: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[5].

ويستفاد من ذلك كله شموله كل من انحرف عن الصراط المستقيم بالكفر سواء كان مشركا أم غيره من أي ملة كان.

وأمّا الضلال فهو بمعنى التحيّر كما عرفت فيشمل مطلق الكفر أيضاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا بَعِيداً﴾[6] فتفسير الأول باليهود والثاني بالنصارى من باب التطبيق لا التخصيص حتّى أنه أطلق الضلال على مطلق العصيان أيضا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالًا مُبِيناً﴾[7].

[مواهب الرحمن]

(١) سورة المائدة: الآية ٦٠.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٧١.
(٣) سورة النحل: الآية ١٠٦.
(٤) سورة الفتح: الآية ٦.
(٥) سورة النساء: الآية ٩٣.
(٦) سورة النساء: الآية ١٣٦.
(٧) سورة الأحزاب: الآية ٣٦.

النبي صلى الله عليه وآله وعلم الغيب

الشيخ محمد جواد مغنية

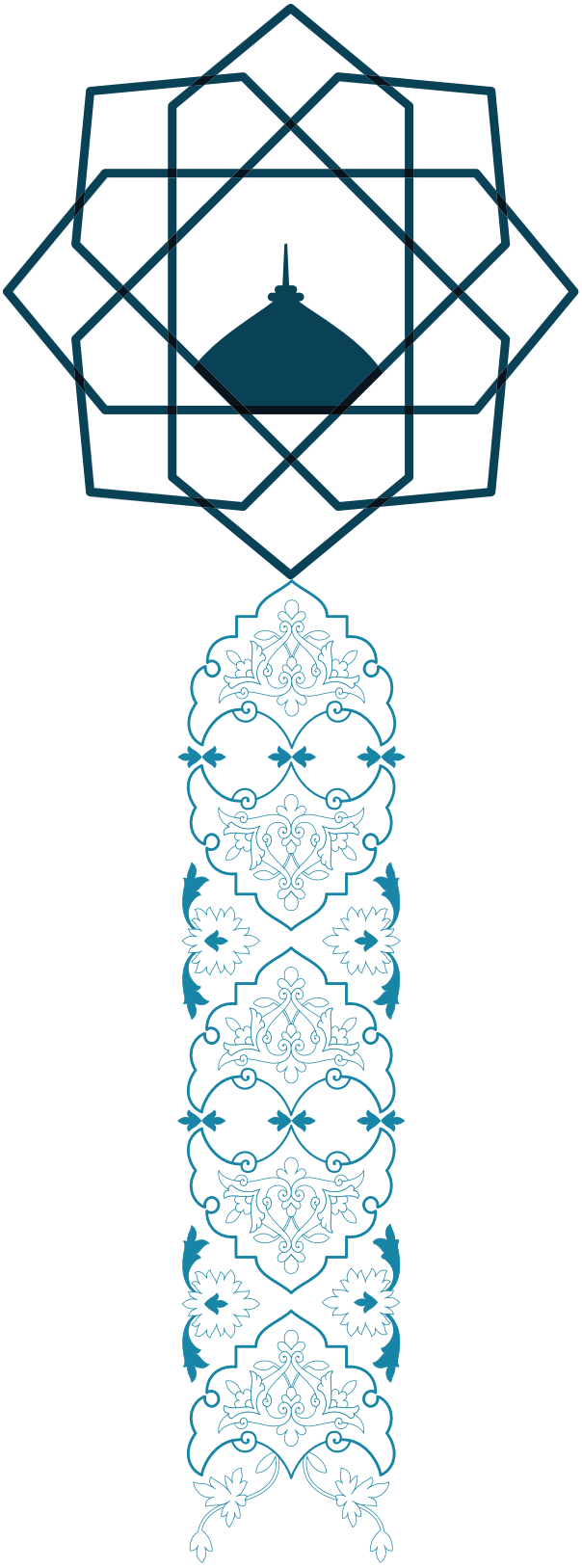

قال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1].

هذه عقيدة المسلمين بنبيهم محمد صلى الله عليه وآله أشرف خلق الله أجمعين، لا يملك لنفسه شيئاً فضلاً عن أن يملكه لغيره، وهذا الاعتقاد بمحمد صلى الله عليه وآله هو نتيجة حتمية لعقيدة التوحيد.

﴿ولَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وما مَسَّنِيَ السُّوءُ﴾. إن كلمة الغيب لا تدلّ على معناها فحسب، بل تدل أيضا على ان الغيب لله وحده، وبالإضافة إلى هذه الدلالة فان أقرب الناس إلى ربه يعلن للأجيال بأنه أمام الغيب بشر لا فرق بينه وبين غيره من الناس، ثم لا يكتفي بهذا الإعلان بل يستدل على ذلك بالحس والوجدان

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٨.

وهو انه لو علم الغيب لعرف عواقب الأمور، فأقدم على ما تكون عاقبته خيرا، وأحجم عما تكون عاقبته شرا، وما أصابه في هذه الحياة ما يسوؤه ويكرهه.

وَكَيلا يقول قائل: كيف لا يعلم محمدﷺ الغيب، وهو الرسول المقرب من الله؟ قال محمدﷺ بأمر من الله: ﴿ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

انه رسول اللهﷺ، ما في ذلك ريب.. ولكن مهمة الرسول تنحصر بتبليغ الناس رسالات ربهم، وإنذار من عصى بالعقاب، وبشارة من أطاع بالثواب، أما علم الغيب، والنفع والضر فبيد الله وحده.. وخصّ المؤمنين بالبشارة والإنذار، مع أنهما يعمان جميع الناس إشارة إلى أن البشارة والإنذار إنما ينتفع بهما من يريد الإيمان الحق، أما المكابر فلا يجدي معه شيئا.

وتسأل: لقد جاء في سيرة النبيﷺ وكتب الأحاديث: أن محمداًﷺ أخبر عن كثير من المغيبات.. من ذلك إخباره بأن المسلمين من بعده يتغلبون على الروم والفرس، وان سلمان الفارسي سيوضع على رأسه تاج كسرى، فوضع..

وأيضاً أخبر عن موت النجاشي وعن شهادة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب وعبد الله بن رواحة وعن نباح كلاب حوأب على عائشة وعن قتال علي بن أبي طالب الناكثين والقاسطين والمارقين، وعن استشهاد سبطه الحسين بن عليعليه السلام.. إلى غير ذلك كثير.. فكيف تجمع بين إخباره عن المغيبات، وبين قوله: ﴿ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ ﴾.

الجواب: ان غيب الله لا حد له ولا حصر، وحده ان لا حد له، وهذا الغيب على أنواع: نوع يحجبه اللهعزوجل عن عباده، ولا يطلع عليه أحدا كائنا من كان كقيام الساعة. ونوع يطلع عليه من ارتضى من عباده، وإليه أشارت الآية ٢٦ من الجن: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلى غَيْبِهِ أَحَداً إِلَّا مَنِ ارْتَضى مِنْ رَسُولٍ ﴾. والآية

١٧٩ من آل عمران: ﴿وما كانَ الله لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ ولكِنَّ الله يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشاءُ﴾. ونوع يطلع عليه كل الناس كالبعث والنشر، والجنة والنار.

فالمراد بأن الغيب لله وعند الله انه لا طريق إلى معرفته بالتجربة، ولا بالعقل ولا بأي شيء إلّا بوحي منه تعالى.

وهو يوحي بشيء من غيبه إلى من ارتضى من رسول حسبما تستدعيه الحكمة وحاجة الناس، والرسول بدوره يخبرهم بهذا الغيب كما تلقاه من الله.. وعلى هذا فلا يكون إخبار الرسول به علماً بالغيب، بل نقلاً عمّن يعلم الغيب، والفرق بعيد بين مصدر العلم، وبين النقل عن مصدره؛ لأن الأول أصل، والثاني فرع، وأيضاً فرق بين من ينقل عمّن نقل عن الأصل مباشرة، وبين من ينقل عن هذا الناقل.. ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾[1].

وهذه الآيات دليل قاطع على فساد ما تقوله الصوفية من أن نفس الإنسان بنحو من الرياضة تنعكس فيها المغيبات.. وقد أسموا هذا الانعكاس علماً لدنّيا..

ولست أدري كيف جمع الصوفية بين الإيمان بالله ورسالة محمد صلى الله عليه وآله، وبين الاعتقاد بهذا العلم اللدنّي؟

وأعجب من هذا ما قاله ابن العربي في الجزء الثالث من الفتوحات المكية الباب الـ(٣١١): ان من أحب الله حباً خالصاً يستطيع أن يحول نفسه إلى آية حقيقة شاء من حيوان أو شجر أو حجر أو ماء.. وقد حدث هذا بالفعل، ذلك ان بعض المحبين من أهل هذه الطريقة - أي الصوفية - دخل على شيخ وحوّل نفسه بين يديه إلى كفّ من ماء.. ولمّا قيل للشيخ: دخل عليك فلان ولم يخرج، فأين هو؟ قال لهم: هذا الماء هو.

[تفسير الكاشف]

(١) سورة البقرة: الآية ٣٢.

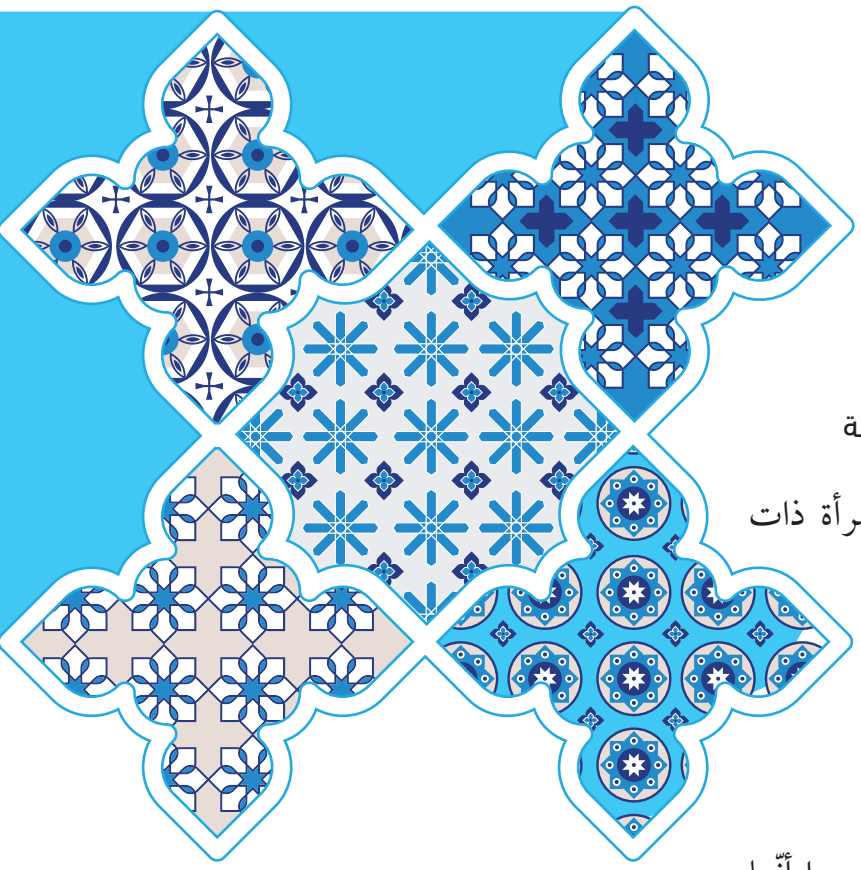

الحُور العين

الشيخ محمد هادي معرفة

عِيْن جمع عيناء وهي المرأة ذات الأَعيُن الوسيعة والمتناسبة مع تقاسيم وجهها الوسيم، كما يقال للبقر الوحش: عِيْن، لحُسن عينها في سعةٍ متناسبة.

حُور: جمع حوراء. زعموا أنّها المرأة ذات الأَعين السود في حدقتها، وهو وصف جمال عند العرب بالذات ممّا قد يُخالف الجمال في بنات الروم في عيونهنّ الزُّرق! ويُعدّ ذلك عيباً عند العرب؛ ومِن ثَمّ جاء وصف المجرمين بأنّهم يُحشرون يوم القيامة زُرقاً.(١)

فجاء كلا الوصفَين ـ جمالاً وعيباً ـ على مقاييس العرب محضاً.

غير أنّ الخطأ هنا جاء مِن قِبَل تفسير الحَوَر بالسواد، في حين أنّه البياض اللامع لشدّة ابيضاضه، فالحَوَر شدّة بياض العين بما يُوجب شدة بريق سواد حَدَقَتِها.

والحواريّات: النساء البيض، قال الأزهري: لا تُسمّى المرأة حوراء حتّى تكون مع حَوَر عينَيها بيضاء لون الجسد، قال الكميت:

ودامت قُدورُك للساغبِينَ
في المَحْلِ غَرْغَرةً واحورارا

قال ابن منظور: أراد بالغَرْغَرة صوت الغَلَيان، وبالاحورار بياض الإهالة والشحم.

والأعراب تُسمّي نساء الأمصار حواريّات لبياضهنّ وتَباعدِهنّ عن

(١) وذلك في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً﴾، سورة طه: ١٠٢.

قشف الأعراب بنظافتِهنّ، قال شاعرهم:

فقلتُ إنّ الحواريّات مُعطِبَةٌ
إذا تفَتّلنَ مِن تحت الجلابيبِ

وقال أبو جِلّدة:

فقل للحواريّات يَبكِينَ غيرَنا
ولا تَبكِنا إلّا الكلابُ النوابح

أراد: النساء النقيّات الألوان والجلود لبياضهنّ.

والحُوّارى: الدقيق الأبيض جصّ أبيض تُبيَّض به الجدران، كلّ ما حُوِّر به أي بُيِّض؛ ومِن ثَمّ يقال للقصّار (غسّال الثياب) حواريّ، لتحويره الثياب أي تبييضها وإزالة أوساخها، يقال: حوّر الثوب: غَسَله وبَالغ في غَسله حتّى بَرَق، ومنه سُمّي الحواريّون أي الخُلّص من أصحاب المسيح عليه السلام.

والأحوري: الأبيض الناعم.

إذن، فالحوراء هي المرأة البيضاء ذات الأَعين اللامعة في شدّة بياضها، فإن كانت حَدَقَة عينها سوداء فهي أيضاً تلمع لحُسن جوارها، وهكذا إذا كانت زرقاء.

فالجمال في هذا الوصف إنّما هو في جانب بياض مُقلَة العين أي شَحمَتُها اللامعة مع بياض لون البدن، الأمر الذي يكون وصف جمال عند الجميع، كما في العيناء.

أمّا زُرقة العين ـ على ما جاءت في الآية وَصْفاً لحالة المُجرمِين يوم الحشر ـ فالمُراد بها العَمى وذهاب نور العين من شدّة الظمأ؛ إذ الظمأ الشديد يُذهب بنور العين ويَحول العطش بينه وبين السماء كالدخان، فيرى الأشياء زَرقاء؛ لأجل الدخان الحائل، لا لزُرقة في حَدَقة عينه.

وقال الفرّاء: يُقال: نَحشرهم عطاشاً، ويقال: نَحشرهم عُمياً[1]، قال الأزهري: عطاشاً يظهر أثره في أَعينهم كالزُرقة، قال: وهو مِثل قوله: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾[2] أي: عطاشاً، كالإبل تَرِد الشريعة عطاشاً، مَشياً على أرجلهم، وعن ابن عبّاس:

(١) معاني القرآن: ج٢، ص١٩١.
(٢) سورة مريم: الآية ٨٦.

سُمّي العِطَاش وِرداً؛ لأنّهم يَردون الشريعة لطلب الماء.[1]

ملحوظة:

قد يَحسب البعض ـ باعتبار كون الحُور جمعاً للأحور والحوراء معاً، وكذا العِين جمعاً للأعين والعيناء ـ أن يكون هناك في الجنّة حورٌ عِينٌ، ذكورٌ وإناثٌ !

غير أنّ القرآن وَصَفَهنّ بوصف الإناث مَحضاً، في مثل قوله تعالى: ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾[2] والكَواعب: الناهِدات الثدي، وقوله: ﴿ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[3]، والجمع بالألف والتاء يَخصّ الإناث دون الذكور. وكذا ضمير الجمع المؤنّث، والطَمْث: افتضاض بَكارة المرأة؛ لأنّه يُوجب الطَّمْث وهو الدم الخارج مِن فَرجها، وقوله: ﴿ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴾[4]، والمرأة العروبة هي العفيفة تُحبّ زوجها لا تهوى سِواه، إلى غيرها مِن آياتٍ جاء فيها وصفُ الحُور بخِيار أوصاف النساء المُترفِّعات دون المُبتذلات.

ولعلّك تتساءل: فما حظّ النساء المؤمنات من هذا النعيم في الآخرة؟

وإجابة عن هذا السؤال جاء في أحاديث مأثورة: أنّ الله سوف يَجعلهنّ حوريّات، ويَكُنّ ألذّ على أزواجهنّ مِن حوريّات الجِنان فعن ابن عبّاس ـ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً ۝ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ﴾[5]: أنّ الآية بشأن الإنسيّات يُبدِّلُهُنّ الله حُوراً عِيناً في الجِنان.[6]

قال تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ﴾[7]، ﴿ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴾[8].

[شبهات وردود حول القرآن الكريم]

(١) تفسير مجمع البيان: ج٧، ص٢٩ وج٦، ص٥٣١.
(٢) سورة النبأ: الآية ٣٣.
(٣) سورة الرحمن: الآية ٥٦.
(٤) سورة الواقعة: الآية ٣٦، ٣٧.
(٥) سورة الواقعة: الآية ٣٥، ٣٦.
(٦) تفسير مجمع البيان: ج٩، ص٢١٩.
(٧) سورة الرعد: الآية ٢٣.
(٨) سورة الزخرف: الآية ٧٠.

حجية ظواهر القرآن

الشيخ محمد مهدي الآصفي

نزل القرآن بلسان عربي مبين ليفهمه الناس ويعملوا به، والقرآن يصرّح بهذه الحقيقة: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعالَمِينَ ۞ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۞ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۞ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾[1] والقرآن نور وبرهان وموعظة من عند الله إلى عباده، وكيف يكون القرآن نورا وبرهانا دون أن يتلقى الناس ظواهر القرآن بالتأمل والتدبر والفهم، ودون أن تكون ظواهره حجة على الناس؟!

يقول الله تعالى: ﴿قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفاءٌ لِما فِي الصُّدُورِ وَهُدىً وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[2]

ويقول تعالى: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَكُمْ بُرْهانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً﴾.[3]

ويقول تعالى: ﴿هذا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّما هُوَ إِلهٌ واحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا الْأَلْبابِ﴾.[4]

ويقول تعالى: ﴿إِنَّ هذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ

(١) الشعراء: الآية ١٩٥.
(٢) يونس: الآية ٥٧.
(٣) النّساء: الآية ١٧٤.
(٤) إبراهيم: الآية ٥٢.

﴿الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً﴾.(١)

وكيف يكون القرآن للناس نوراً وبرهاناً وبياناً وبلاغاً ونذيراً ومبشراً وهادياً، ثمّ لا يتمكّن الناس من أن يتلقوا هذا القرآن بأنفسهم ويتأمّلوا فيه، وقد حثّنا الله تعالى على التدبّر والتأمّل في آياته؟! يقول تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾(٢).

الأسباب والوجوه التي تحوجنا إلى التفسير

الأسباب التي تحوجنا إلى تفسير النص القرآني عديدة، نذكر أهمها في ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: إن القرآن أجمل الكثير من الأحكام والتصورات والمفاهيم، ولا بد لهذا الإجمال من تفصيل وشرح وتبيان كي يمكن الاستفادة الكاملة من النص القرآني، واستيعاب الصورة الكاملة للمفهوم أو التصور أو الحكم الذي يقدمه النص لنا.

ومن هذا القبيل آيات الأحكام، وهي تستغرق مساحة واسعة من القرآن الكريم، وقد أجمل القرآن هذه الأحكام، بينما فصلتها السنة، ولا يمكن فهم هذه الآيات فهما تفصيليا وكاملا من دون الشرح والتفسير.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «أن رسول الله صلى الله عليه وآله أنزلت عليه الصلاة ولم يسم الله تعالى لهم ثلاثا، ولا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي فسر ذلك لهم»(٣).

وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة، فمن الأحكام التي أجملها القرآن، وترك تفسيرها لرسول الله صلى الله عليه وآله والحجج من بعده قوله تعالى: ﴿أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ﴾(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾(٥).

وترك تفاصيل أحكام الصلاة والزكاة والحج، وهي تستغرق

(١) الإسراء: الآية ٩.
(٢) النّساء: الآية ٨٢.
(٣) الكافي: ج ١ ص ٢٢٦ / ١.
(٤) الحجّ: الآية ٤١.
(٥) آل عمران: الآية ٩٧.

مجلدات ضخمة من الفقه في التفسير والتبيين والشرح من جانب رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام الذين أورثهم رسول الله صلى الله عليه وآله علم الكتاب والشريعة من بعده كما في حديث الثقلين.[1]

كما أن القرآن ذكر طائفة من العمومات والمطلقات دون أن يذكر تخصيصاً أو تقييداً لها، وترك بيان التخصيص والتقييد لرسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه من بعده عليهم السلام الذين ورثوا علمه.

ومن هذه العمومات قوله تعالى: ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾[2] وهي تعم كل المطلقات، وقد ورد في السنة الشريفة تخصيص هذا العام بالمدخول بهن فقط.

وقوله تعالى: ﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَ ﴾[3] وهذا العموم يختص بالرجعيات، أما غير الرجعيات من المطلقات فلا أولوية لبعولتهن بهن، وهذا التخصيص وارد في التفسير.

ومن المطلقات التي ورد تقييدها في التفسير من الحديث الشريف قوله تعالى: ﴿ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظِيماً ﴾[4] وإطلاق هذه الآية الكريمة مقيد في الروايات بما إذا لم يتب وكأنه قد قتله لإيمانه.

عن سماعة، قال: قلت له (أي الصادق عليه السلام): قول الله تبارك وتعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فِيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ ﴾.

قال: «المتعمد الذي يقتله على دينه، فذاك التعمد الذي ذكر الله».

قال: قلت: فرجل جاء إلى رجل فضربه بسيفه حتى قتله لغضب لا لعيب على دينه، قتله وهو يقول بقوله؟

(١) وذلك في قوله صلى الله عليه وآله: «إنّي تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». أنظر مسند أحمد: ج ٤ ص ٣٦٧ و٣٧١ وج٥ ص ١٨٢ و١٨٩.

(٢) البقرة: الآية٢٢٨.

(٣) البقرة: الآية ٢٢٨.

(٤) النّساء: الآية ٩٣.

قال: «**ليس هذا الذي ذكر في الكتاب، ولكن يقاد به والدية إن قبلت**».

قلت: فله توبة؟ قال: «**نعم، يعتق رقبة، ويصوم شهرين متتابعين، ويطعم ستين مسكينا، ويتوب ويتضرع فأرجو أن يتاب عليه**»[1].

الوجه الثاني: أن القرآن الكريم طرح أنظمة كاملة للتصورات والمفاهيم والأحكام، وليس ما في القرآن أحكاما متناثرة ومختلفة، بل إن هذه التصورات والمفاهيم عندما ينتظم عقدها في سلسلة واحدة تشكل نظاما مترابطا، منسجما، متكاملا. كل حلقة منه تكمل الحلقة التي تليها، وهي مجتمعة تقدم للإنسان نظاماً كاملاً للتفكير والتصور.

ومن هذا القبيل (التوحيد) و(القضاء والقدر) و(الاختيار) فإن آيات التوحيد الموزعة في مواضع كثيرة من القرآن عندما تجتمع وينتظم عقدها تقدم لنا تصورا كاملا عن وحدة الخالق، ووحدة السلطان والسيادة في حياة الإنسان، وإلغاء أي سيادة وسلطان من دون سلطان الله، وشرعية كل سيادة وسلطان في امتداد سلطان الله تعالى وسيادته وولايته على الإنسان.

وفي هذه المجموعة المنتظمة من الآيات يرتبط الإيمان بالولاء والبراءة وبسيادة الله تعالى وسلطانه على الإنسان، وعبودية الإنسان وطاعته لله تعالى، وتمرده وبراءته من الطاغوت، وبمسألة الإمامة، وبخلافة الإنسان على وجه الأرض لله تعالى، وهي مجموعة منتظمة من المسائل وقضايا الفكر والعقيدة والعمل مرتبطة ومنسجمة ومتكاملة.

وكذلك قضية (الاختيار) و(القضاء والقدر) و(الخير والشر) و(الهداية والضلالة) مسائل مترابطة ومتكاملة تتوزع وتنتشر في مواضع كثيرة من القرآن، ولا يمكن فهم هذه الآيات فهما سويا صحيحا، ولا

(١) تفسير العياشي ١: ٢٦٧ / ٢٣٦، وللتوسّع في هذا البحث راجع مجلة رسالة القرآن العدد (٦)، التفسير نشأته وتطوّره للشيخ محمّد هادي معرفة.

يمكن أن نفهم ما يريده الله تعالى في هذه الآيات إلا إذا جمعناها إلى جنب بعض، ونظمناها في سلسلة واحدة مترابطة، وخصصنا عمومات الآيات العامة بالتخصيصات الواردة في القرآن، وقيدنا مطلقات الآيات بالقيود الواردة في آيات أخرى، وضممنا الأفكار المتعددة بعضها إلى جنب بعض. عندئذ فقط يمكن فهم ما يريده الله تعالى في هذه الآيات، ومن دون ذلك لا نكاد نستطيع أن نفهم حقائق هذا الكتاب حق الفهم.

فقد يتلقى المتلقي آية من كتاب الله فيتصور أنها تريد الجبر المطلق، وتسلب الإنسان حريته وإرادته بشكل مطلق، وقد يقرأ آية أخرى فيتصور أن القرآن يقرر الاختيار المطلق، ويفصل الإنسان ومصيره بشكل كامل عن مشيئة الله تعالى وإرادته، بينما لا يقرر القرآن الكريم أيا من المعنيين.

وفهم ما يريده القرآن لا يمكن إلا من خلال جهد علمي يقوم به المتخصصون في القرآن بتجميع هذه الآيات وتنظيم هذه الأفكار، واستخراج وحدة فكرية وتصورية، ونظام فكري شامل من خلالها وهذا هو الجهد الذي يقوم به العلماء المتخصصون في القرآن من خلال (التفسير الموضوعي) للقرآن الكريم.

لقد نزل القرآن نجوما في ثلاث وعشرين سنة، وكان لنزول طائفة كبيرة من آيات القرآن أسباب وعلل يسميها العلماء بأسباب النزول، ولا تكاد تفهم الآية إلا من خلالها.

ومن هذه الآيات ناسخ ومنسوخ ومجمل ومبين. ولا نتمكن أن نفهم هذه الآيات إلا إذا جمعنا بعضها إلى بعض، ووضعنا بعضها إلى جنب بعض، فإن القرآن يستخدم كثيرا طريقة الإطلاق في بيان حكم أو تصور أو سنة، وفي آيات أخرى يذكر الشروط والقيود، وما لم نجمع هذه الآيات ونجعل بعضها إلى جنب بعض، ونفسر بعضها ببعض لا نستطيع أن نفهم كتاب الله وما فيه من أحكام وسنن وتصورات ومفاهيم.

ومن الخطأ أن نستخلص حكما أو سنة أو تصورا من خلال آية واحدة من كتاب الله تعالى دون أن نعرضه على سائر الآيات.

أما لماذا يستخدم القرآن هذا الأسلوب في بيان الأحكام والسنن والتصورات؟ فهو أمر له علاقة بأسلوب القرآن البياني ولسنا بصدد شرح أصول هذا الأسلوب وتأثيره الآن.

والطريقة العلمية الصحيحة لفهم آيات كتاب الله هي أن يقوم المفسر بجهد علمي في تجميع هذه الآيات وتنظيمها وتقييد المطلقات، وتخصيص العمومات، وتحديد الشروط منها، ثم ضمّ هذه الأحكام والتصورات والأفكار بعضها إلى بعض، واستخراج أنظمة شاملة ووحدات فكرية شاملة منها، وهذا هو الجهد العلمي الذي ينهض به المفسر.

الوجه الثالث: إن للنص ظاهرا وأعماقا مختلفة، وكل إنسان يتناول من النص القرآني بقدر ما أوتي من علم وفهم. وقدرة على فهم مراد الله تعالى، فلا يفهم عامة الناس من كتاب الله تعالى إلا ظاهرا من آياته، ومن العلماء من آتاه الله تعالى القدرة على الغوص في أعماق آياته، فيأخذ من كتاب الله قدر ما آتاه الله من علم وبصيرة وفقه، وليس العلماء كلهم سواء في فهم كتاب الله تعالى، فإن لهذا القرآن أعماقا وبطونا مختلفة، وكلما أمعن الإنسان في القرآن الكريم، وأكثر فيه التأمل، وثابر في فهمه وتذوقه أكثر بلغ من فهم القرآن ما لم يبلغه من قبل، ولعل في ذلك بعض السر في غضاضة النص القرآني وخلوده.

ولسنا نقصد أن كتاب الله تعالى مجموعة من الألغاز والمعميات والرموز كما يقوله أهل الباطن، فإن القرآن نور وبلاغ وهدى للناس جميعا، ولا يمكن أن ينهض القرآن بهذه الرسالة في حياة البشرية جميعا إلا أن يكون منفتحا على الناس وبيانا لهم جميعا يخاطب الناس بلسانهم،

وبما يفهمون من خطاب، وليس بالرموز والألغاز.

وإنما نقصد بالأعماق والبطون المختلفة للقرآن، أبعادا مختلفة لحقيقة واحدة ومفهوم واحد، فما يفهمه عامة الناس من ظاهر القرآن هو ما يفهمه العلماء القرآنيون من أعماق القرآن البعيدة، إلا أن أولئك العلماء يبلغون أعماقا من وعي الحقيقة التي يبينها القرآن للناس لا يصل إليها عامة الناس، دون أن تختلف الحقائق التي يتلقاها الناس من ظاهر القرآن عن الحقائق التي يتلقاها العلماء القرآنيون من أعماق القرآن، ولكن شتان بين وعي ووعي وفهم وفهم، وما يبلغه هؤلاء وأولئك.

ولسنا نريد أن نطيل الحديث في هذا الجانب، فإن كتاب الله نور وهدى ومنهاج عمل في حياة البشر، ولا بد لفهم هذا القرآن أن تتضافر جهود العلماء ليفتحوا للناس من آفاق هذا القرآن، ما لا يمكن أن يصلوا إليه، لو لا ذلك.

وقد أدرك العلماء المتخصصون في القرآن هذه الضرورة منذ أقدم العصور القرآنية، وتناولوا كتاب الله تعالى بالتحليل والتفسير، ونحن بفضل جهودهم تلك أصبحنا نعي بحمد الله من كتاب الله وآياته وآفاقه ما لم نكن ندركه لولاها.

ومن الآيات التي يمكن أن تكون مصداقا واضحا لاختلاف مستوى الفهم والتفسير من قبل العلماء في استكشاف أبعاد وأعماق مختلفة لها، دون أن تتناقض وتختلف هذه الأبعاد فيما بينها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَسالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِها فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْباطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً وَأَمَّا ما يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ﴾[1].

٢ ـ وقوله تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ

(١) الرعد: الآية ١٧.

كَمِشْكاةٍ فِيها مِصْباحٌ الْمِصْباحُ فِي زُجاجَةٍ الزُّجاجَةُ كَأَنَّها كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكادُ زَيْتُها يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نارٌ نُورٌ عَلى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾.[1]

٣ـ وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ عِنْدَنا خَزائِنُهُ وَما نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴾.[2] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة، وهي من غرر الآيات، كما يقول العلامة الطباطبائي رحمه الله، وهي تحمل أبعادا وأعماقا مختلفة ولظاهرها معنى واضح ومفهوم، وكلما أمعن الإنسان النظر وتأمل فيها، فتح الله (تعالى) له من آفاق الفهم والتفسير ما لم ينفتح له من قبل. وهذه التفاسير والتصورات والأفهام غير متناقضة ولا متخالفة فيما بينها، وقد تحدثت عن هذا الموضوع بتفصيل في كتاب (وعي القرآن).

وليس كل الناس يستطيع أن يغوص في أعماق القرآن، وليس كل أحد يحسن ذلك، إذا لم يستعن بالمتخصصين من علماء القرآن الكريم الذين رزقهم الله تعالى وعي كتابه.

[من مقدمته على تفسير البرهان]

(١) النور: الآية ٣٥.

(٢) الحجر: الآية ٢١.

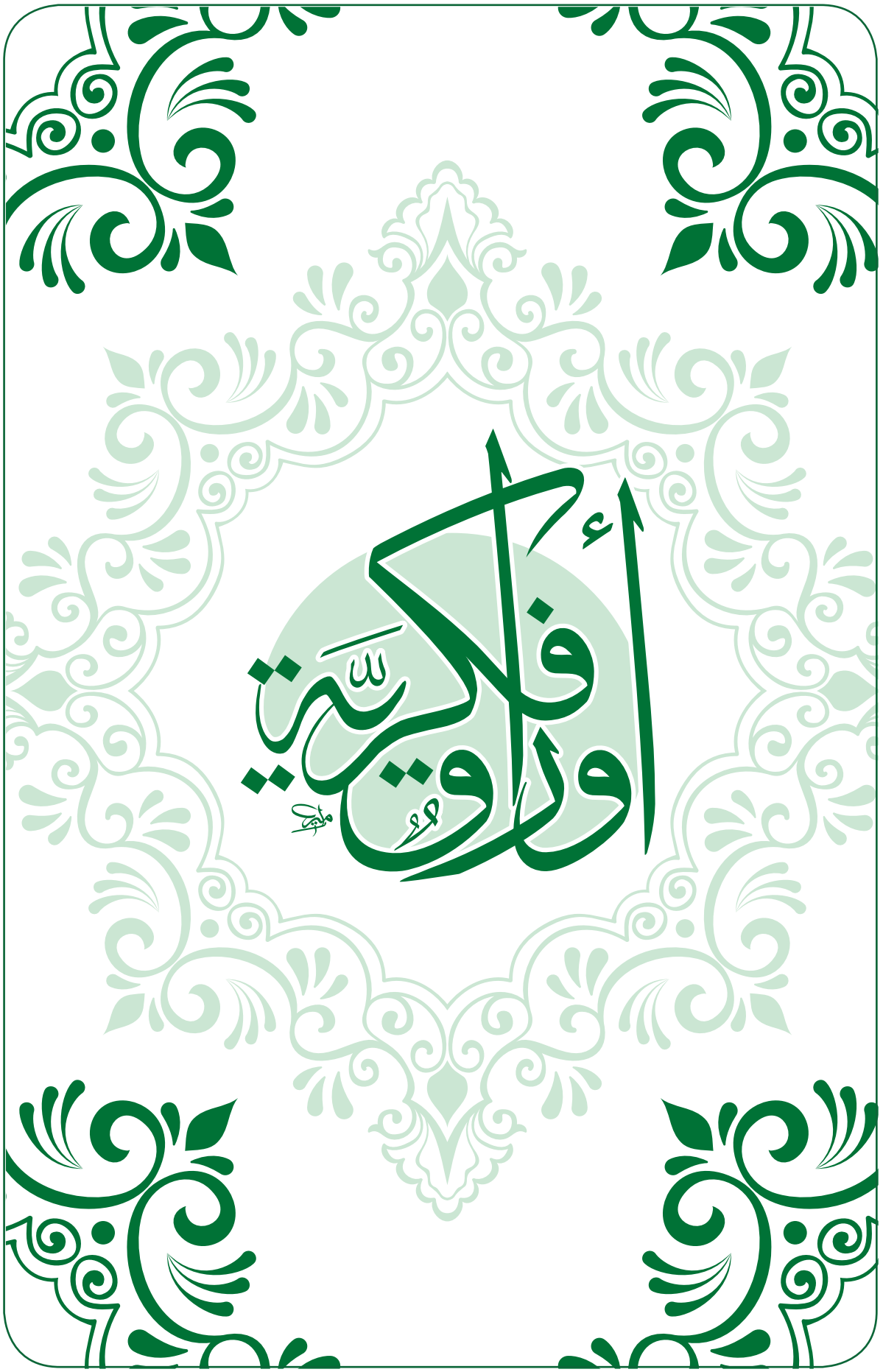
أوراق قرآنية

رفض فكرة الصدفة والأدلة على ذلك

الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

ولو وقفنا قليلا عند ما يسمى بـ(تطور المادة) وفكرنا في إمكان هذا التطور من طريق المصادفة لوجدنا أنّ المصادفة كسبب لخلق وإيجاد الكائنات الحية وسائر الموجودات لا يمكن للعقل أن يقبلها أو يبني واقعاً عليها.

ويقول عالم الطبيعة الدكتور نوبلوتشي: «لا استطيع أن اتصور أن المصادفة وحدها تستطيع أن تفسر لنا ظهور الإلكترونات والبروتونات الأولى أو الذرّات الأولى أو الاحماض الأمينية الأولى أو البروتوبلازم الأول أو البذرة الأولى أو العقل الأول. إنني اعتقد في وجود الله؛ لأن وجوده القدسي هو التفسير المنطقي الوحيد لكل ما يحيط بنا من ظواهر هذا الكون».

ولقد تقدمت دراسة نظرية المصادفة والاحتمال من الوجهة الرياضية تقدما كبيرا حتى اصبحنا قادرين على التنبؤ بحدوث بعض الظواهر التي نقول انها تحدث بالمصادفة، والتي لا نستطيع ان نفسر ظهورها بطريقة اخرى، وقد صرنا بفضل تقدم هذه الدراسات قادرين على التمييز بين ما يمكن ان يحدث بطريق المصادفة وما يستحيل حدوثه بهذه الطريقة، ولننظر الآن الى الدور الذي تستطيع ان تلعبه المصادفة في نشأة

الحياة:

ان البروتينات من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية، وهي تتكون من خمس عناصر هي: الكاربون، والهيدروجين، والنيتروجين، والاوكسجين، والكبريت ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد ٤٠ الف ذرة، ولما كان عدد العناصر الكيمياوية في الطبيعة قد تجاوز المائة وهي موزعة توزيعا عشوائيا، فان احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكوّن جزيئاً واحدا من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي ان تخلط خلطا مستمرا لكي تؤلف هذا الجزيء، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري «تشالزيوجين» بحساب هذه العوامل جميعا فوجد ان الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتيني واحد الا بنسبة «١» الى رقم «١٠» مضروبا في نفسه «١٦٠» مرة، وهو رقم لا يمكن النطق به او التعبير عنه بكلمات. وينبغي ان تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد اكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات، ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الارض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدّرها العالم السويسري المار الذكر بأنها «١٠» مضروبة في نفسها «٢٤٣» مرة من السنين.

ولو تنزلنا عن ذلك كله الى جزيء «الهيموغلوبين» الذي يلون الدم باللون الاحمر- وهو ما اعتبره العلماء من ابسط أنواع البروتينات تركيبا- لوجدناه يحتوي على ما يزيد عن «٦٠٠» ذرة كاربون متحدة بما لا يقل عن مائة ذرة هيدروجين وما يزيد عن مائتي ذرة نيتروجين ومثلها من الاوكسجين ويحتوي جسم الانسان على «٢٥» تريليون كريّة دموية؛ اي الرقم «٢٥» والى يمينه «١٨» صفرا.

ويقول عالم الكيمياء الدكتور بوهلر: عندما يطبق الانسان قوانين المصادفة لمعرفة مدى احتمال حدوث ظاهرة من الظواهر في الطبيعة مثل تكون جزيء واحد من جزئيات البروتين من العناصر التي تدخل في تركيبه، فاننا نجد ان عمر الارض الذي يقدر بما يقرب من ثلاثة بلايين من السنين او اكثر لا يعتبر زمنا كافيا لحدوث هذه الظاهرة وتكوين هذا الجزيء عن طريق المصادفة.

ومع ذلك كله فان البروتينات ليست في واقعها سوى مواد كيماوية عديمة الحياة، ولا تدب فيها الحياة الا عند ما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا نعلم كنهه ابدا.

إن المواد الأساسية التي تدخل في بناء المواد العضوية هي الهيدروجين والاوكسجين والكربون مع كميات قليلة من النيتروجين والعناصر الاخرى. ولا بد ان تجتمع ملايين من هذه الذرات حتى تتكون ابسط الكائنات الحية. فاذا نظرنا الى الانواع الاخرى التي هي اكبر حجما واشد تعقيدا فان احتمال تآلف ذراتها على اساس المصادفة المحضة يقل الى درجة لا يتصورها العقل، بل يرفض الإقرار بها وبتفسير وجود كل شيء بموجبها.

وتوضيحاً لذلك يقول الاستاذ كريسي موريسون رئيس اكاديمية العلوم بنيويورك: «لنفرض أن معك كيساً يحوي مائة قطعة رخام، تسع وتسعون منها سوداء وواحدة بيضاء، والآن هز الكيس وخذ منه واحدة فإن فرصة سحب القطعة البيضاء هي بنسبة واحد إلى مائة، والآن أعد قطع الرخام إلى الكيس وابدأ من جديد: فإن فرصة سحب القطعة البيضاء لا تزال بنسبة واحد إلى مائة، غير أن فرصة سحب القطعة البيضاء مرتين متواليتين هي بنسبة واحد إلى عشرة آلاف والآن جرب مرة ثالثة: ان فرصة سحب تلك القطعة البيضاء ثلاث مرات متوالية هي بنسبة مائة مرة إلى عشرة آلاف اي بنسبة واحد في المليون.

ثم جرب مرة اخرى او مرتين

تصبح الارقام فلكية. ان قصدي من هذه المعالجة للصدفة هو ان أبين للقارئ بطريقة علمية واضحة تلك الحدود الضيقة التي يمكن للحياة بينها ان توجد على الارض، وان اثبت بالبرهان الواقعي ان جميع مقومات الحياة الحقيقية ما كان يمكن ان توجد على كوكب واحد في وقت واحد بمجرد الصدفة».

اننا اذا نظرنا - بإمعان - الى العالم المادي، من الذرات المتناهية في الصغر الى المجرات المتناهية في العظم، وجدنا كل شيء يجري بقوانين وبحساب وانضباط.

حتى الإلكترون لا ينتقل من مدار الى مدار في فلك النواة إلّا إذا أعطى أو أخذ حزماً من الطاقة تساوي مقادير انتقاله وكأنه مسافر لا يستطيع أن يستقل واسطة لسفره إلّا إذا دفع ثمن التذكرة.

وميلاد النجوم وموتها له قوانين وأسباب، وحركة الكواكب في دولاب الجاذبية لها معادلة، وتحول المادة الى طاقة وتحول جسم الشمس الى نور له معادلة، وانتقال النور له سرعة معينة، وكل موجة لها طول ولها ذبذبة ولها سرعة، كما ان كل معدن له طيف وله خطوط امتصاص مميزة يعرف بها في جهاز المطياف.

وكل معدن يتمدد بمقدار ويتقلص بمقدار، بالحرارة والبرودة. وكل معدن له كتلة وكثافة ووزن ذري ووزن جزئي وثوابت وخواص.

واينشتاين اثبت لنا ان هناك علاقة بين كتلة الجسم وسرعته، وبين الزمن ونظام الحركة داخل مجموعة متحركة، وبين الزمان والمكان، كما ان الكهرباء تتولد بقوانين. والزلازل التي تبدو انواعا من الفوضى لها هي الاخرى نظام وأحزمة وخطوط تحدث فيها.

وبذلك يصبح الكون كله وكأنه جدول من القوانين المنضبطة الصريحة التي لا غش فيها ولا خداع.

ان حجم الكرة الارضية وبعدها

عن الشمس، ودرجة حرارة الشمس واشعتها الباعثة للحياة، وسمك قشرة الارض، وكمية الماء، ومقدار ثاني اوكسيد الكاربون، وحجم النتروجين، وظهور الانسان وبقاءه على قيد الحياة، كل أولاء تدل على خروج النظام من الفوضى، وعلى التصميم والقصد. كما تدلّ على انه طبقا للقوانين الحسابية الصارمة ما كان يمكن حدوث كل ذلك مصادفة في وقت واحد على كوكب واحد مرة في بليون مرة.

وضرب الماديون القائلون بالصدفة مثلاً لادعائهم فقالوا: «لو ان صندوقا من الحروف الابجدية اعيد تنضيده مئات المرات وألوف المرات وملايين المرات على امتداد الزمان الذي لا تحصره السنون ولا القرون، فلا مانع- حينئذ- ان تسفر هذه التنضيدات في مرة من المرات عن قصيدة من الشعر المنظوم، ولا عمل في اتفاق حروفها على هذه الصورة لغير المصادفة الواحدة التي تعرض بين ملايين الملايين من المصادفات، وهكذا الكون المادي في اضطرابه المتشتت الذي تعرض له جميع المصادفات الممكنة في العقول، فلا مانع في العقل- حسب زعمهم- ان تسفر مصادفة منها عن نظام كهذا النظام وتكوين كهذا التكوين في عالم الجماد او في عالم الحياة».

ولمناقشة قولهم هذا نرجع الى المثل الذي ضربوه لنجد فيه الفروض التالية:

١- وجود الحروف المتناسبة التي يمكن ان يتكون منها الشعر، بحيث لا ينقص منها حرف واحد ولا يزيد.

٢- وجود قوة تتولى التنسيق والتنضيد.

٣- استمرار تلك القوة على التنضيد من دون توقف في الاثناء.

٤- وجود فهم كامل لدى تلك القوة يوقف حركة تنضيد الحروف عند الانتهاء الى قصيدة الشعر.

وفي كل واحد من هذه الفروض

الاربعة مناقشة بل دليل على فساد هذا الادعاء.

أما في (الاول) فنتساءل: كيف وجدت الحروف المشار إليها لنقوم بتنضيدها؟ وكيف تقسمت المادة الى اجزاء متنوعة ينتج من اجتماعها مثل هذه النتيجة؟ ثم كيف كان لهذا التنويع قابلية الاتحاد على وجه مفهوم؟!

وأما في (الثاني) فنتساءل كذلك: وعلى فرض وجود قوة تتولى التنسيق وتقوم بمهام التنضيد؟ هل يصح عقلا ان تكون الحروف نفسها مصدر هذه القوة بحيث تحرك نفسها بنفسها؟

وأما في (الثالث) فنتساءل كذلك: وعلى فرض وجود قوة بين الحروف كيف تستمر هذه القوة في التنضيد على كل الاحتمالات ولا تقف في الاثناء؟ وهل لديها الادراك المطلوب الذي يدفعها الى الاستمرار إحساسا بضرورته؟!

وأما في (الرابع) فلا بد لنا من التساؤل أيضا: كيف نفرض ان الوصول في التنضيد الى حين حصول القصيدة يستلزم الوقوف عندها؟ ولماذا لا تستمر القوة في التنضيد بعد الوصول الى قصيدة الشعر ليسرع إليها الخلل وتعم فيها الفوضى قبل ان تنتظم ثانية وثالثة ورابعة؟ وما هي القوة التي أمسكت بلجام هذه الحركة عند هذا الحد من تنضيدها المستمر؟!

﴿إِنَّ الله يُمْسِكُ السَّماواتِ والْأَرْضَ أَنْ تَـزُولا، ولَئِنْ زالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾.(١)

إن هذه المناقشة تدلنا بوضوح على أن ما فرض أساساً لهذه الشبهة لا يسنده منطق ولا يعترف بصحته عقل، وان جميع هذه الفروض التي فرضوها ترجع بالنتيجة الى الدلالة على ضرورة وجود قوة ازلية خالدة عاقلة هي التي أوجدت الكون وأوجدت القوى المنساقة لشؤونه بلا اي فوضى او اضطراب او صدفة.

ولتوضيح فساد الصدفة نقول:

(١) سورة فاطر: الآية ٤١.

ان ظهور الحياة في المادة الصماء يلزم العقل بالاخذ بأحد شيئين لا ثالث لهما:

١- فإما أن تكون الحياة خاصة من خواص المادة ملازمة لها فلا تحتاج إلى خالق مريد.

٢- أو أنها من صنع خالق مدبر مريد.

فاذا قلنا بكونها خاصة من خواص المادة لزمنا القول بأن المادة أزلية أبدية لا تحد بأول ولا آخر، وانها موجودة منذ الازل بكل خصائصها، وان خصائصها ملازمة لها سواء كانت في هذا المكان من الكون أو ذلك المكان.

واذن، فلا معنى لظهور الحياة في كوكب دون كوكب وفي زمان دون زمان، ولا معنى لبقاء خصائص الحياة كلها بلا عمل ولا اثر ملايين الملايين من السنين، ثم تظهر بعد ذلك في زمان يحسب تاريخه بآلاف او مئات من الالوف ولماذا تأجل ظهور الحياة كل هذا الزمان الذي لا يمكن حده وحصره مع وجود كل الخصائص منذ الازل؟!

واذا كانت الحياة أزلية لانها من خواص المادة الازلية- حسب الفرض- فلماذا جاءت صدفة ثم دامت؟ واين كانت في تلك الآماد البعيدة حتى تظهر صدفة وبلا اي قصد إليها وإرادة لها؟

وعلى هذا فلا بد لنا من الانتهاء الى الأخذ بالأمر الثاني، وهو ان ظهور الحياة في المادة الصمّاء كان من صنع خالق ازلي مريد يعلم ما أراد، واختار له الزمان الذي يريده والمكان الذي يريد، فأوجد هذا الكون وما فيه في الوقت الذي اختاره والموضع الذي شاءت حكمته تعيينه وانتقاءه.

[أصول الدين]

الشواهد العقلية

على فضيلة العلم وشرفه

الملا محسن الفيض الكاشاني

ومن الشواهد العقليّة على شرف العلم ونفاسته أنّ الـلَّـذّة والابتهاج والسرور ليست إلّا بـالإدراك ولا شكّ أنّ الـلَّـذّات العقليّة أقـوى وأشـدّ من اللَّذّات الخياليّة والخياليّة أقوى وأتمّ من الحسّيّة، بل لا نسبة للَّذّات العقليّة إلى الحسّيّة وذلك لأنّ العقل يدرك الشيء على ما هو عليه مجرّداً عمّا هو غريب له من القشور والملبوسات فينال حاقّ جوهره ولبّ ذاته، وأمّا الحسّ فلا يدرك إلا المخلوط بغيره، والمشوب بما سواه، فلا يحسّ باللَّون ما لم يحسّ معه بالطول والعرض والوضع والأين وبأمور أخرى غريبة عن حقيقة اللَّون، وأيضاً فإنّ إدراك العقل يطابق المدرك ولا يتفاوت والحسّ يرى الشيء الواحد عظيما في القرب، صغيرا في البعد، وكلَّما صار أبعد يراه أصغر إلى أن يصير بسبب البعد كنقطة ثمّ تبطل رؤيته وكلَّما صار أقرب كان أعظم إلى أن يصير بسبب القرب كنصف العالم ثـمّ تبطل رؤيته، وأيضا العقل الَّذي يراعي القوانين العقليّة المنطقيّة ويتطهّر من المعاصي والأدنـاس ولا يزاحمه الوهم والوسواس فهو معصوم من الغلط والخطأ، وأمّا الحسّ فهو يغلط في الإدراك كثيرا حيث يـرى الشمس مقدار أترجة ومقدار جرمها مائة وستّون مثلا لمقدار جرم الأرض [وأيضا فإنّ

مدركات العقل الأمور الكليّة الأزليّة والذوات النوريّة الَّتي يستحيل تغيّرها وذات الحقّ الأوّل الَّذي يصدر عنه كلّ كمال وجمال وبهاء في العالم وتفاصيل المعقولات لا تكاد تتناهى لأنّ أجناس الموجودات وأنواعها غير متناهية وكذا المناسبات الواقعة بينها وهي تقوّي العقل وتزيده نورا كلَّما كثرت، وأمّا مدركات الحسّ فهي الأجسام وأعراضها المستحيلة الزائلة المحصورة في أجناس قليلة وهي تفسد الحسّ إذا قويت لذّته، فإنّ لذّة العين مثلا في الضوء وألمها في الظلمة والضوء القويّ يفسدها، وكذا الصوت القويّ يفسد السمع ويمنعه من إدراك الخفيّ بعده وأيضا فإنّ الأمر كما قيل: [إنّ] ألذّ اللَّذات الحسّيّة هي المنكوحات والمطعومات وأمور تجري مجراها والمتمكَّن من غلبة ما ولو في أمر خسيس كالشطرنج والنرد قد يُعرض له مطعوم ومنكوح فيرفضه لما يعتاضه من لذّة الغلبة الوهميّة وقد يُعرض مطعوم ومنكوح في صحبة حشمة فينفضّ اليد منهما مراعاة للحشمة فيكون مراعاة الحشمة آثر وألذّ لا محالة هناك من المطعوم والمشروب وإذا عرض الكرام من الناس الالتذاذ بإنعام يصيبون موضعه آثروه على الالتذاذ بمشتهى حيوانيّ متنافس فيه وآثروا فيه غيرهم على أنفسهم مسرعين إلى الإنعام به؛ وكذلك فإنّ كبير النفس يستصغر الجوع والعطش عند المحافظة على ماء الوجه ويستحقر هول الموت ومفاجآت العطب عند مناجزة الأقران والمبارزين وربّما اقتحم الواحد منهم على عدد دهم ممتطيًا ظهر الخطر لما يتوقّعه من لذّة الحمد ولو بعد الموت، كأنّ تلك تصل إليه وهو ميّت، فقد بان أنّ اللَّذات الباطنة مستعلية على اللَّذات الحسّيّة وليس ذلك في العاقل فقط بل وفي العجم من الحيوانات، فإنّ من كلاب الصيد ما تقتص على الجوع ثمّ يمسكه على صاحبه وربّما حمله إليه، والراضعة من الحيوانات تؤثر ما ولدته على نفسها وربّما خاطرت محامية عليه

أعظم من مخاطرتها في ذات حمايتها نفسها، فإذا كانت اللّذات الباطنة أعظم من الظاهرة وإن لم تكن عقليّة فما قولك في العقليّة فطوبى لعقول شريفة تمثّلت فيها جليّة الحقّ الأوّل قدر ما يمكنها أن تنال منه ببهائه الّذي يخصّه ثمّ يتمثّل فيها الوجود كلُّه على ما هو عليه مجرّداً من الشوائب مبتدئا فيه بعد الحقّ سبحانه بالجواهر العقليّة الجبروتيّة، ثمّ الروحانيّة الملكوتيّة والأجرام السماويّة، ثمّ ما بعد ذلك تمثّلا لا يمايز الذات، قال بعض العلماء: لو علم الملوك ما نحن فيه من لذّة العلم لحاربونا بالسيوف، وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا.

وعن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: «**لو يعلم الناس ما في فضل معرفة الله تعالى ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهرة الحياة الدنيا ونعيمها وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم ولنعّموا بمعرفة الله تعالى وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل في روضات الجنان مع أولياء الله، إنّ معرفة الله تعالى آنس من كلّ وحشة، وصاحب من كلّ وحدة، ونور من كلّ ظلمة، وقوّة من كلّ ضعف، وشفاء من كلّ سقم**، ثمّ قال: **قد كان قبلكم قوم يقتلون ويحرقون وينشرون بالمناشير وتضيق عليهم الأرض، برحبها فما يردّهم عمّا هم عليه شيء ممّا هم فيه من [البلاء] غير ترة وتروا من فعل ذلك بهم ولا أذى بما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد، فسلوا ربّكم درجاتهم واصبروا على نوائب دهركم تدركوا سعيهم**»[1].

[المحجة البيضاء في تهذيب الاحياء]

(١) الكافي، الكليني: ج٨،ص٢٤٧، تحت رقم ٣٤٧.

عذاب القبر

شرف الدين
المقداد بن عبد اللَّه
السيوري الأسدي

وتدلّ على وقوعه- بعد كون العلم بذلك لطفاً- آياتٌ:

١- قوله تعالى في حقّ آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾[١]، وهو صريح في وقوع تعذيب بعد الموت وقبل البعث، وإلّا لتكرّر قوله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ﴾، والأوّل عذاب القبر اتفاقاً.

٢- قوله تعالى في قوم نوح: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾[٢]، أتى بفاء التعقيب، فيكون ادخالهم النار عقيب الاغراق، وهو قبل يوم القيامة، وذلك عذاب القبر.

٣- قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ﴾[٣] وهو دليل على أنّ في القبر حياة، وموتاً آخر، وإلّا لم يكن الإحياء مرّتين ولا الإماتة كذلك.

قيل: على هذا يكون الإحياء ثلاثاً، فلم ذكر مرتين فقط؟

---

(١) سورة غافر: الآية ٤٦.
(٢) سورة نوح: الآية ٢٥.
(٣) سورة غافر: الآية ١١.

قلنا: التخصيص بالعدد لا يثبت الزائد ولا ينفيه، مع أنّ التثنية جاءت للتكثير، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾[1] ونحو لبيك وسعديك.

ومنع ضرار[2] وجماعة من المعتزلة عذاب القبر، لقوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى﴾[3]، ولو عذّبهم في القبر لصاروا أحياءً فيه، لأنّ تعذيب الجماد غير معقول، ولو صاروا أحياءً فيه لماتوا مرّة اخرى، فلا تكون الموتة مرة واحدة. (هذا خلف) ولقوله تعالى: ﴿مَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾[4] وهو دليل على أنّ من في القبر ليس بحي، إذ لو كان حيّاً، لأمكن إسماعه[5].

والجواب عن الأوّل: المراد أنّ نعيم الجنّة لا ينقطع بالموت كما انقطع نعيم الدنيا، وإنّما قلنا ذلك؛ لأنّ اللّه تعالى أحيا كثيراً من الناس في زمن الأنبياء ثم أماتهم ثانياً، فوجب حمل الآية على ما ذكرناه، لأصالة عدم مجاز آخر.

وعن الثاني: أنّ عدم إسماعهم لا يلزم منه عدم إدراكهم، لجواز أن لا يحصل الإسماع بسبب كون القبر مانعاً من وصول الصوت إلى الصماخ، هذا مع أنّ للآية محملًا آخر، وهو أنّ المراد: لا تقدر أن تسمع الجهّال إسماعاً تامّاً حتى ينتفعون به؛ لأنّه لمّا استعار للجهّال اسم الأموات في صدر الآية، رشّح الاستعارة بقوله: «من في القبور» فإنّ الميت من شأنه أن يكون مقبوراً.

الكتاب: اللوامع الالهية: ص٤٤٩

(١) سورة الملك: الآية ٤.

(٢) هو ضرار بن عمرو الغطفاني البصري. قاض من كبار المعتزلة، ثارت عليه المعتزلة ببلده ففرّ إلى بغداد وكان بينه وبين النظّام مناظرات ومنازعات، وله تصانيف كثيرة في علم الكلام. مات سنة(٢١٥ هـ).(سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٤٦، لسان الميزان ٣: ٢٤٨-٢٤٩).

(٣) سورة الدخان: الآية ٥٦.

(٤) سورة فاطر: الآية ٢٢.

(٥) شرح المقاصد: ج ٥ ص ١١٤- ١١٥.

تكامل الجنسين ونقد الاتجاهات الشاذة الحديثة

السيّد محمّد باقر السيستاني

مما جاء في مقدّمة الكتاب:

إن أحد الأسس الفطرية المهمة للحياة الإنسانية والنوع الإنساني هو التنوع البشري الرائع المنقسم إلى الذكر والأنثى، وتكاملهما في هذه الحياة من خلال الاقتران الزوجي الأسري، وتوزيع اقتضاءات الأسرة على الجنسين وفق الملاءمات الفطرية مع تكونهما الجسدي والنفسي والسلوكي ومشاركتهما إنجاب الأولاد.

إلّا أن هذا الأساس تعرض في العصر الحاضر لتحدٍّ خطير من خلال اتجاهات ونظريات متعددة انتشر تسويقها باسم العلم والأدوات العلمية.

ومن أبرز تلك النظريات نظريتان:

١ - نظرية تحور معنى الذكورة والأنوثة- وهما أمران معروفان للإنسان منذ نشأة الإنسانية-بادعاء أنهما لا يتمثلان في التنوع الفطري الجسدي والوظيفي والنفسي والسلوكي للإنسان، بل هما يعبّران عن انطباع الإنسان عن نفسه.

فإذا رأى الذكر جسديا أنه أنثى كانت هويته أنثى سواء احتفظ بخصائصه الجسدية الذكرية، أم سعى إلى تغييرها، فله أن يتأنّث ويظهر ويتصرف ويتزوج كأنثى تماماً ويكون بين الإناث في اجتماعهن، وعلى الأسرة والمجتمع أن يتقبله ويتعامل معه كذلك رغم خصائصه الذكرية الكاملة، وكذلك الحال في الأنثى!

بل يجوز أن يختار الشخص ان يكون

ذكرا وأنثى في آن واحد، او يكون حالة وسطى بمزيج من المظاهر والسلوكيات الذكورية والأنثوية حسبما يشاء!

وقد عبر عن مورد الانطباع المغاير للجسد عن الذات بالتحول الجنسي، كما عبر منذ حين عن الهوية التي يختارها الشخص لنفسه -سواء كان موافقا لجسده ام لا- بالنوع الاجتماعي او الجندر.

٢- نظرية أخرى تنقض تكامل الذكر والأنثى في الحياة كما تقتضيه الفطرة الإنسانية بادعاء أنّ الميول الشاذة (المماثلة) هي ميول طبيعية، وأنّ الاقتران الشاذ بالمماثل يمثل خيارا للزواج على حد زواج الذكر والأنثى!

فهاتان نظريتان تبرران السلوكيات والاقترانات والميول الشاذة، وتعتبرها امورا طبيعية وخيارات مقبولة ومشروعة على حد الخيار السائد في المجتمع البشري من تمايز الجنسين وتكاملهما في الحياة.

وقد حدثت هاتان النظريتان في هذا العصر في بعض الأوساط العلمية على أساس أنهما من جملة معطيات العلم الحديث!

ومن اللافت أنه يجري تسويقهما ثقافياً واجتماعياً بقوة واندفاع بالغ في المجتمعات البشرية من خلال جميع الإمكانات المتاحة المحلية والدولية من الجوانب المالية والقانونية والسياسية والإعلامية والثقافية والتربوية.

والواقع أن هذه النظريات تمثل انتكاسة كبيرة في الفكر الإنساني المعاصر، بل تقهقراً غريباً لما يطرح باسم العلم وعجزاً كبيراً عن رصد البديهيات الفطرية الإنسانية التي يدركها عامة العقلاء الراشدين وفق ما يجدون بوجدانهم ويشهدونه بالخبرة العامة، وقد وقع من قبل التنكّر لمبادئ بديهية أخرى باسم العلوم الإنسانية.

كما أن تسويقها في المجتمع

الإنساني عملياً يمثل تحدياً خطيراً للإنسانية في أحد أهم ركائزها وبناها في وجودها وديمومتها وقيمها وأخلاقها ونظمها الأسرية والاجتماعية.

وهذه دراسة موجزة تتضمن توضيح تكامل الذكر والأنثى في الحياة وفق القواعد العامة الراشدة للتفكير المبنية على مبادئ خمسة:

١ – الإدراك السليم.

٢ – الفطرة الإنسانية الجسدية والوظيفية.

٣ – الفطرة النفسية والسلوكية.

٤ – الضمير الإنساني الذي يمثل الهدي الملائم للإنسان ويحدد ما يحسن وما يقبح منه.

٥ – الحكمة الصائبة التي ترعى الصالح الإنساني.

هذا مع دراسة الموضوع وفق هذه المبادئ في المستوى الفطري، وفي المستوى العلمي المعتمد على العلوم ذات العلاقة بهذه المبادئ، من جهة وجود أبعاد للموضوع ذات علاقة بكل واحد من هذه المبادئ الخمسة.

كما تضمنت الدراسة توضيح بداهة مبدأ التكامل بين الجنسين في الدين بداهة بالغة لا مزيد عليها، فإنه ملء تعاليم الدين ونصوصه في ذِكْر الذكر والأنثى وأحكامهما، على أنّ الدين يضمن التأكيد على أن هذا التكامل مطابق مع المبادئ الفطرية والأخلاقية والحكمية.

وكنت قد اعددت دراسة أكثر تفصيلاً من بعض النواحي قبل ثلاث سنوات عندما بلغني استفحال هذه النظريات في أوساط الجاليات الإسلامية في بعض بلاد المهجر، وحدثت ظروف حالت دون إنهائها، وقد حدث في هذه الأيام سعي بليغ إلى نشر هذه الأفكار الخاطئة في داخل البلاد الاسلامية، فاهتممت بإيجاز البحث مع بعض الإضافات ليكون أسهل تناولاً.

[تكامل الذكر والأنثى في الحياة]

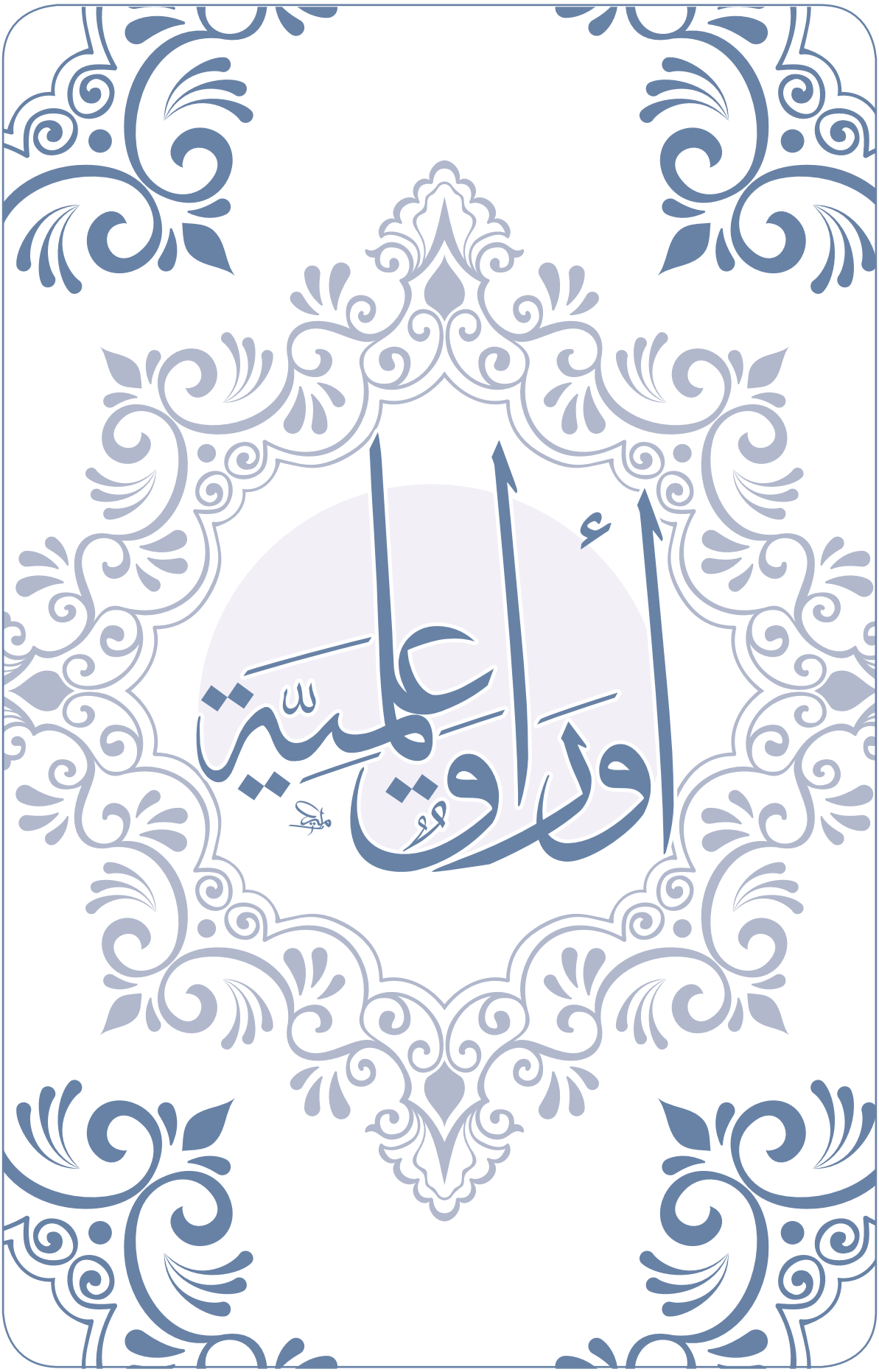
أوراق علمية

تحريم الابتداع في الدين

الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي

يدلّ على ذلك اثنا عشر وجهاً:

الأول: قضاء الضرورة به فإنه من أوضح ضروريات الدين وقد انعقد على التحريم هنا إجماع المسلمين.

الثاني: ما رواه الصدوق في الفقيه بأسانيده الصحيحة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «كان في الزمان الأول رجل طلب الدنيا من حلال فلم يقدر عليها وطلبها من حرام فلم يقدر عليها فأتاه الشيطان فقال له: يا هذا إنك قد طلبت الدنيا من حلال فلم تقدر عليها فطلبتها من حرام فلم تقدر عليها أفلا أدلك على شيء تكثر به دنياك ويكثر به تبعك؟ قال: بلى، قال: تبتدع ديناً وتدعو إليه الناس، ففعل فاستجاب له الناس فأطاعوه وأصاب من الدنيا، ثم إنه فكر فقال: ما صنعت، ابتدعت ديناً ودعوت الناس إليه وما أرى لي توبة إلّا أن آتي من دعوته فأرده عنه، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه فيقول: إن الذي دعوتكم إليه باطل وإنما ابتدعته فجعلوا يقولون: كذبت هو الحق ولكنّك شككت في دينك فرجعت عنه، فلما رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوتد لها وتداً ثمّ جعلها في عنقه وقال: لا أحلها حتى يتوب الله عزّ وجلّ عليَّ، فأوحى الله إلى نبي من الأنبياء قل لفلان: وعزتي وجلالي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترد مَن مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه»[1].

الثالث: الآيات الشريفة القرآنية كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[2] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ﴾[3] ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ

(١) من لا يحضره الفقيه: ج٣، ص٥٧٢.
(٢) سورة يونس: الآية٥٩.
(٣) سورة النجم: الآية ٢٣.

عِلْمٍ﴾[1] إلى غير ذلك.

الرابع: ما رواه العامة والخاصة عنه عليه السلام أنه قال: «**اتبعوا ولا تبتدعوا**»، وقال: «**إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله**»[2].

أقول: فيه دلالة على وجوب إبطال البدع والرد على أهلها واستحقاق من ترك ذلك اللعن فكيف لا يستحقه أهل البدع.

الخامس: ما رواه أيضاً عنه عليه السلام قال: «**من أتى ذا بدعة فعظّمه فإنما سعى في هدم الإسلام**»[3].

وقال: «**أبى الله لصاحب البدعة التوبة**، قيل: ولم ذلك؟ قال: **إنه قد أشرب قلبه حبها**»[4].

السادس: ما رواه عنه عليه السلام قال: «**إن عند كل بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موكلاً به يذب عنه، ينطق بإلهام من الله ويعلن الحق وينوره، ويرد كيد الكائدين، يعبر عن الضعفاء فاعتبروا يا أولي الألباب وتوكلوا على الله**»[5].

أقول: فيه دلالة على وجوب الرجوع إلى أهل العصمة أو كلامهم عند ظهور البدعة مضافاً إلى ما سبق.

السابع: ماروواه أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «**إنما بَدْءُ وقوع الفتن أهواءٌ تُتبع، وأحكامٌ تبتدع يُخَالف فيها كتابُ الله، يتولّى فيها رجال رجالا، فلو أن الباطل خلص لم يخف على ذي حجى، ولو أن الحق خلص لم يكن اختلاف ولكن يؤخذ من هذا ضغث ومن هذا ضغث فيمزجان فيجيئان معاً فعند ذلك (فهنالك) استحوذ الشيطان على أوليائه ونجا الذين سبقت لهم من**

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ٤.
(٢) الكافي: ج١، ص٥٤.
(٣) الكافي: ج١، ص٥٤.
(٤) الكافي: ج١، ص٥٤.

(٥) الكافي: ج١، ص٥٤. وقال العلامة محمد تقي المجلسي في الروضة: وأما اليوم وإن كان الولي غائباً فآثار الأئمة المعصومين عليهم السلام ظاهرة والعلماء المؤيدون من الله موجودون مع أنه اشتهر كثيراً هدايات الصاحب عليه السلام لجماعة من العلماء عند المشكلات، والحمد لله رب العالمين، على أنه كلما أشكل علي تشرفت بخدمته عليه السلام في الرؤيا الصادقة الظاهرة آثارها كما ورد في الأخبار أن غيبته كغيبة الشمس تحت السماء ونفعها ظاهر لا يخفى. راجع: ج ٩ ص ٣٢٩.

الله الحسنى»[1].

الثامن: ما رواه عنه عليه السلام قال: «إن من أبغض الخلق إلى الله عز وجل لرجلين: رجل وكله الله إلى نفسه فهو جائر عن قصد السبيل، مشغوف بكلام بدعة، قد لهج بالصلاة والصوم فهو فتنة لمن افتتن به، ضال عن هدي من كان قبله، مضل لمن اقتدى به في حياته وبعد مماته»[2] الحديث.

التاسع: ما رواه بإسناده الصحيح عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام «قالا كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»[3].

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار»[4].

العاشر: ما رواه عنه أبي جعفر عليه السلام قال: «لا تتخذوا من دون الله وليجة فلا تكونوا مؤمنين فإن كان نسب وسبب وقرابة ووليجة وبدعة وشبهة منقطع إلّا ما أثبته القرآن»[5]، وعنه الصادق عليه السلام قال: قال علي عليه السلام: «ما أحد ابتدع بدعة إلّا ترك بها سنة»[6].

الحادي عشر: ما رواه عنه عليه السلام قال: «ما من أحد إلّا وله شرة وفترة فمن كانت فترته إلى سنة فقد اهتدى ومن كانت فترته إلى بدعة فقد غوى»[7].

الثاني عشر: ما رواه الشيخ في كتاب الغيبة عن سعد بن عبد الله عن داود بن قاسم الجعفري قال: كنت عند أبي محمد عليه السلام فقال: «إذا قام القائم أمر بهدم المنار والمقاصير التي في المساجد، فقلت في نفسي لأي معنى هذا؟ فأقبل عليَّ فقال: «معنى هذا أنها محدثة مبتدعة لم يبنها نبي ولا حجة»[8].

أقول: إذا عرفت هذا ظهر عندك بطلان التصوف لاشتماله على البدع السابقة وغيرها التي لم يكن شيء منها في زمن الأئمة عليهم السلام متبعاً لهم ولا لشيعتهم ولا مأموراً به منهم كما عرفت والله أعلم.

[الاثنا عشرية]

(١) الكافي: ج١، ص ٥٤.
(٢) الكافي: ج١، ص ٥٥.
(٣) الكافي: ج١، ص ٥٦.
(٤) الكافي: ج١، ص ٥٧.
(٥) الكافي: ج١، ص ٥٩.
(٦) الكافي: ج١، ص ٥٨.
(٧) بحار الأنوار: ج٧١، ص٢١١.
(٨) الغيبة للطوسي: ج١، ص٢٣٠-٢٣١.

الغناء

الشيخ جعفر كاشف الغطاء

(الغناء) من مقولة الأصوات كما يظهر من كثير من اللغويين والفقهاء أو كيفياتها كما يظهر من الأكثر من الجانبين ولعلّه الأقوى وليس اختلاف كلامهم في تفسيره حيث قيل مدّ الصوت أو ترجيعه أو إطرابه أو تحسينه أو رفعه وموالاته أو مدّه وتحسينه أو مدّه وترجيعه أو تحسينه وترقيقه أو ترجيعه وإطرابه إلى غير ذلك أو الصوت مقيّداً بالطرب أو الرفع و الموالاة أو الترجيع و الإطراب إلى غير ذلك مبنياً على التعارض حتى ينظر في التعادل ويرجّح الأكثر أو الأبصر أو على الجميع فيؤخذ بالجامع للصفات لأنّه المتيقّن، والأصل جواز ما عداه أو الجميع عملًا بقول المُثبِت فيما أثبته ورداً للنافي فيما نفاه، بل إنما قصدهم كما لا يخفى على من مارس كلامهم في بيانهم لمعاني الألفاظ الشائعة المشهورة الدوران حول العرف والإشارة إليه وبيان المعنى العام ليحترز عن إدخاله في جنسٍ آخر كبيان أن الغناء من مقولة الأصوات وكيفياتها أو سعدانة من مقولة النبات ونحو ذلك. لذا ترى بينهم معركة ونزاعاً مع اختلاف العبارات وتفاوت الكلمات فلم يبقَ سوى الرجوع إلى العرف الذي هو المرجع والمفزع في فهم المعاني من المباني وهو لا يكال بمكيال ولا يوزن بميزان فقد تراه يرى تحقق الغناء في صوت خال عن الحسن والرقّة مشتملة على الخشونة والغلظ، وفي خالٍ عن المدّ مشتمل على التقطيع والتكبير، وفي خالٍ عن الترجيع متصف الخفاء، وفي مهيجٍ للطرب بمعنى الخفّة المقرونة بالانشراح واللذة، وفي مفرّح للقلب مهيّجٌ على البكاء والعشاق إلى غيره فليس للفقيه الماهر سوى الرجوع إليه والتعويل عليه ولو فرض ثبوت معنى اللغوي كان الرجوع إلى العرف إليه وإذا أشكلت عليه الأمور لاضطرابه رجع إلى أصل إباحته إن كان من أهلها أو إلى الأخذ

بحائطته إن كان من أهلها (وتعليمه) لا يفعله بجنسه وفصله (واستماعه) مراعياً صفته أولًا دون مجرد سماعه، (وأجرة المغنية) وهو حرام لنفسه إجماعاً محصلاً ومنقولاً نقلاً متواتراً، والكتاب العزيز والسنّة المتواترة شاهدان عليه ومن حرّمه لأجل الملاهي ودخول الرجال على النساء ونحوهما قائلاً بإباحته لنفسه مخالف للإجماع، بل الضرورة من المذهب؛ لأن حاله كحال الزنا عند الإمامية وإلى أخبار يطعن في أسانيد أكثرها وفي دلالاتها ضعيفة بمعارضة الشهرة، بل الإجماع موافقة للعامة مقابلة بأقوى منها مذكور في هذا الباب وفي بيع المغنيات وفي أجرهن وفي استماعه وتعليمه وغير ذلك مما لا وجه له، واستثناء القرآن لأخبار ليس عليها مدار موافقة لآراء المخالفين والمتصوفة ومعارضة بأقوى منها من الأدلة العامة والخاصة، وكذا استثناء التعزية الحسينية لرواية مرسلة لا نعرف مأخذها لا وجه له أصلًا وما ادّعي من السيرة مبنيّ على عدم الفرق بين الغناء والنوح وسيجيء بيانه إن شاء الله تعالى.

ومن أعجب ما سمعت ما استند إليه بعض الفضلاء من العموم من وجه بين ما دلّ على استحباب قراءة القرآن والتعزية مثلاً وبين تحريم الغناء والرخصة أوفق بالأصل إذ يلزم عليه أن جميع أدلّة المحرمات معارضة بأدلة السنن حتى الزنا واللواط والغيبة والكذب والسب خصوصاً حيث تقع بالتماس المؤمن ومع العلم بإدخال السرور عليه فلو حكمت أدلة السنن بتأييدها بأصالة الإباحة على أدلة التحريم لم يبق حرام على إن الظاهر من أدلة تحريم الغناء أنه قبيح لا يقبل التخصيص لجعله من قول الزور ولهو الحديث، هذا وقد ورد عنهم عليهم السلام: «**ما اجتمع الحرام مع الحلال إلا وغلب الحرام الحلال**»[1] على أن ذلك جار في التعزية ومدح النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام أو مدح كل من يستحق المدح وذم كل من يستحق الذم والأذكار والدعوات وقراءة الصلوات والمناجاة، بل في

(١) مجمع الفائدة، المحقق الأردبيلي: ج١١ص٢٧١.

مطلق ما يجري من الكلام على اللسان من الطاعات وغيرها إذا حصل فيها وجه رجحان بأي نحو كان على أن التعارض يثبت حيث يُجعَل الغناء من الأصوات؛ أما لو جعلناه من الكيفيات كما هو الأقوى فلا معارضة؛ إذ لا مناقضة لعدم وحدة الموضوع وأعجب من هذا كلّه وقوع بعض العلماء في الاشتباه من جهة غلط عرف العوام حيث لا يطلقون الغناء إلّا على ما لا يُسمى قراءة أو مدحاً أو ذكراً أو مناجاة أو ما لا يكون بلسان الفصحاء والبلغاء مع أنهم علموا و سمعوا أن الغناء في أيام العباسيين والأمويين لا يكون إلا من ذلك القبيل غالباً وهو عمل إبراهيم شيخ المغنين، وأعجب منهم من زعم أن حسن الصوت يستلزم الغناء حتى أخذ الروايات الدالة على حسن صوت داود عليه السلام بحيث يسقط له الطير وصوت زين العابدين عليه السلام حتى نقل سقوط بعض المارّين حجّة على جواز الغناء ومنشأ ذلك عدم الفرق بين الحسن الذي هو من عطاء الرحمن والتحسين الناشئ من الترجيع الناشئ من دعوة الشيطان، وما أحسن التشبيه بامرأة ذات حسن وجمال وأخرى متحيّلة متحسّنة لترغيب الرجال، وقد ورد في بعض الأخبار، أنه متى حصل الاشتباه خُيّل في نفسه الحق والباطل ورأى أنه إلى أي الأمرين أقرب حتى يلحِقه به، ولعمري أن البصير الخبير بأحوال الشرع يعلم أن أصل الفساد ورأسه فيما يتعلق بالعفّة وضدّها من الزنا واللواط الباعث عليهما الشهوة الخبيثة والمحرك لها النظر إلى محاسن الأجنبيات وأشد منه أصوات المغنين والمغنيات وسماعها يهيج الأشواق ويحرك شهوة العشاق ويتعاظم الهمّ بتذكر الفراق ويزداد الشوق إلى حصول التلاقِ، وما زعمه المتصوفة من أن ما أصابهم من عشق الحضرة القدسية زورٌ وافتراء على ربِّ البرية، وإنما هو من شدّة الميل إلى الزنا بالحسان واللواط من المرد من الولدان وإلّا فكيف تقع الجنابة حينئذٍ منهم، كما روى جمع من الثقات ذلك عنهم وعلى كلِّ حال فالذي يقع في نظري أن الغناء في باب الطاعات كقراءة القرآن أعظم من الغناء في غيرها في العصيان لزيادة

الذنب الفظيع بازدياد معصية التشريع.

(وقد وردت رخصة) عن الصادق عليه السلام بطريق صحيح وغيره (في إباحة أجرها) بنحو أن المغنيات لا بـأس بكسبهن وبأجرهن لا نفي البأس عن غنائهن ولا عن أجرهن ويشكل التعلّق به في إباحته (في العرس) كما ذهب إليه جمع كثير حتى ظُنّ أنّه المشهور وهو المتعلق بالنكاح ولو بالمنقطع دون ملك اليمين اقتصاراً على محلّ اليقين ودون الختان وغيره من أسباب الفرح اقتصاراً على المعتاد أو الأقلّ منه (إذا لم تتكلم بالباطل ولم تلعب بالملاهي) اقتصاراً على المتيقّن فيما خالف العمومات من الكتاب والسنّة والإجماعات (و) لتقييد الرّخصة في الصحيح بالتي (لـم تُدخِل الرجال عليها) وفيه ظهورٌ لا يخلو عن قصور في اعتبار القيدين السابقين وقد ظهر مما مرّ أنّه لا ينبغي صدور الاستثناء من أهل النظر كيف لا وتحريم الغناء كتحريم الزنا وأخباره متواترة وأدلّته متكاثرة عبّر عنه بقول الزور ولهو الحديث في القرآن ونادت الأخبار بأنّه المحرّك على الفجور والعصيان فكأنّ تحريمه من الأمور العقلية التي لا يقبل تقييداً ولا تخصيصاً بالكلية، وكيف يخطر بالبال أو يجري في الخيال أن يقع مثل هذا الكلام من سادات الأنام الآمرين بترك الشبهات خوفاً من الوقوع في المحرمات مع أنه مؤذنٌ بجواز ما فيه معظم اللهو عن ذكر المعاد ومدني إلى الزنا واللواط اللّذين هما رأس الفساد على أن في ضعف دلالة تلك الأخبار ما يخرجها عن محل الاعتبار وموافقتها للتقية يرفع اعتبارها في مقابلة ما مرّ بالكلية ولو كانت في غاية الكثرة ما عادلت فكيف مع أنّها في نهاية الندرة ولو فرّق بين الحق والباطل لرأيته من القسم الثاني بديهة. وربما كان قبحه في غير الأعراس أقل منه فيها ثمّ إن القول بالتحريم هو المشهور على الظاهر؛ لأن كل من حرّم الغناء ولم يستثنِ فهو من المحرمين وحاله كحال المصرحين وهم عدد كثير من الفحول والأساطين لكنه بعيد عن طريقة المخالفين والمتصوفين.

[شرح القواعد]

تزويج الفاسق

الشيخ محمد حسن النجفي الجواهري

(يكره أن يزوج الفاسق) كما في القواعد وغيرها، بل في المسالك لا شبهة في كراهة تزويجه، حتى منع منه بعض العلماء لقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ ﴾[1] ومفهوم قوله صلى الله عليه وآله: «إذا جاءكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه»[2] الدال على أن من لا يرضى دينه لا يزوج، والفاسق كذلك، وفي (كشف اللثام) تعليله بأنه لفسقه حري بالإعراض والإهانة، والتزويج إكرام ومودة، ولأنه لا يؤمن من الإضرار بها وقهرها على الفسق، ولا أقل من ميلها إليه أو سقوط محله من الحرمة عندها.

ولكن الجميع كما ترى لا يفيد الكراهة لمطلق الفسق حتى الإصرار على بعض الصغائر الذي قل ما يخلو منه أحد، والآية إنما يراد من الفسق فيها الكفر بقرينة مقابلة الإيمان، على أن نفي الاستواء لا يقتضي بكراهة التزويج، وليس مندرجاً فيمن لا يرضى دينه قطعا، بل والخلق بناء على أن المراد منه حسن السجايا التي لا ينافيها بعض أنواع الفسق كما عساه يومئ إليه النهي عن تزويج سيّئ الخلق، قال الحسين بن بشار الواسطي: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أن لي قرابة قد خطب إلي ابنتي وفي خلقه سوء، فقال: «لا تزوجه إن كان سيّئ الخلق»[3]

(١) سورة السجدة: الآية ١٨.

(٢) الكافي للكليني: ج٥، ص٣٤٧.

(٣) الكافي للكليني: ج٥، ص٥٦٣.

وليس كل - فسق حريا بالإعراض والإهانة على وجه ينافيه التزويج ولا يؤمن معه من الإضرار بها ومن قهرها عليه، خصوصاً مع فرض فسقها، ولا كل فسق يسقط حرمة الإيمان التي قد علمت من الشريعة، ولم نعرف من نسب إليه من العلماء المنع منا، بل في كشف اللثام لا يحرم اتفاقاً منا، ولعله من العامة، ألّا أنّه يكون أن من إنكار الضروريات.

نعم، لا ريب في الكراهة بالنسبة إلى بعض أنواع الفسق، كشرب الخمر الذي قال المصنف فيه: (وتتأكد) أي الكراهة (في شارب الخمر) وقال الصادق عليه السلام: «**من زوج كريمته من شارب الخمر فقد قطع رحمها**»[1] كالزنا وغيرهما من أنواع الفسق التي فيها من الغضاضة وعدم الائتمان ما لا يخفى، خصوصاً بالنسبة إلى بعض الناس وبعض النساء.

[جواهر الكلام]

(١) الكافي للكليني: ج٥، ص٣٤٧.

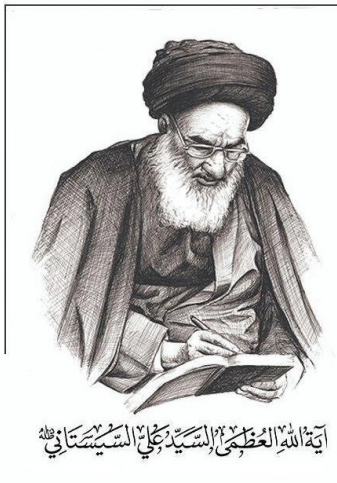

تاريخ الإحساس بمشكلة اختلاف الحديث

تقريرات بحث السيد السيستاني دام ظله

بقلم السيد هاشم الهاشمي

الذي يظهر للباحث أن تاريخ بدايات الإحساس بمشكلة اختلاف الحديث يعود إلى الصدر الأول، حيث نرى أن الصحابة والتابعين عاشوا هذه المشكلة وأحسّوا بها كما نحسّ اليوم، فقد اشتملت أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله التي القاها إليهم -أقل التقادير - على المحكم والمتشابه وعلى الناسخ والمنسوخ، وهذا بدوره سيؤدي إلى بروز حالة الاختلاف بين الأحاديث، ولبيان هذه الجهة نشير إلى المرحلتين اللتين مر بهما نشر الأحكام وتبليغها في الإسلام، فقد تمّ بيان أحكام الشريعة ونشرها في مرحلتين: المرحلة الأولى: مرحلة التلقي من الرسول صلى الله عليه وآله وقد قام صلى الله عليه وآله ببيان الأحكام على مستويين:

الأول: المستوى العام: ويتمثّل ببيان الأحكام للصحابة ككل. وقد تلقى الصحابة منه ذلك ويتمثل في الأحاديث النبوية.

الثاني: المستوى الخاص: ويختص ذلك بتلقي مولانا أمير المؤمنين عليه السلام التعاليم والأحكام الإسلامية من الرسول صلى الله عليه وآله حيث كان يمليها عليه بصورة خاصة. وقد جاء ذلك في جملة من الروايات حيث ورد فيها بالنص أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يملي عليه وهو يكتب.

وكان حصيلة ذلك تأليفه عليه السلام كتباً متعددة على عهد الرسول صلى الله عليه وآله كما اتفقت على ذلك كلمات العامة والخاصة، ذكرت بعض مصادره في مقدمة كتاب الأحاديث، وجاء فيها أن للإمام عليه السلام عدة كتب ومنها كتاب الديات المذكور بنفسه في آخر كتاب الكافي، وصحيفة علي، وكتاب الفرائض، وغيرها من الرسائل، كما تعرض لذلك كتاب فتاوى رشيد رضا الجزء الرابع حيث يتعرض فيه إلى

بحث شامل عن صحيفة علي يتضح منه سعة هذه الصحيفة واشتمالها على أحكام كثيرة.

وقد اعترف علماء العامة باختصاص الإمام علي عليه السلام من بين الصحابة بتلقي أحكام البغاة والخوارج من النبي صلى الله عليه وآله ولذا نرى أن أبا حنيفة والشافعي يستدلان في أحكام البغاة والخوارج بأقوال الإمام عليه السلام.

وهذا يدلّ على أن الرسول صلى الله عليه وآله كان يُعد الإمام علياً ليكون باباً لعلمه وعدلاً لكتاب الله.

والفرق بين هذين المستويين في تلقي الأحكام واضح، فقد كان ينقص الصحابة الدقة في فهم أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله والتركيز على كلماته، وكان من المفروض عليهم الرجوع في فمهما إلى من يفسر لهم ذلك وهو الإمام علي عليه السلام لكن لم يفعلوا.

وهذان النحوان من تلقي الأحكام يعتبران من المناشئ الرئيسية لاختلاف أحاديث الفريقين: الشيعة والسنة، وهو بدوره أدى الى اختلافهم في الفقه، فان مصادر الفقه عند الشيعة صحف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي خطها بإملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ومصدر الفقه السني الأحاديث التي تلقاها الصحابة من النبي صلى الله عليه وآله بما فيها من جهات النقص التي نشأت من عوامل مختلفة، كمنعهم تدوين أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله، وضعف مستواهم في فهم كلام الرسول صلى الله عليه وآله وإعراضهم تقريباً عن صحف ومصادر أهل البيت عليهم السلام في مجال التشريع التي تتضمن معرفة الناسخ من الحديث ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه وعامه وخاصه، وفقدهم الوسائل العلمية التي يمكنهم من خلالها التعرف على كيفية معالجة الاختلاف في أحاديث الرسول، اذن فقد واجه العامة منذ صدر الاسلام مشكلة الاختلاف في نفس الأحاديث التي تلقوها من الرسول صلى الله عليه وآله؛ لان فيها الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والمحكم والمتشابه، ولم تكن

لهم القدرة العلمية على معالجتها، لانهم لم يتمسكوا بإرشادات أمير المؤمنين عليه السلام ولم يعتمدوا أحاديث أهل البيت عليهم السلام بالإضافة لبعض العوامل التي فرضت عدم بيان هذه المشكلة أو عدم محاولة علاجها.

اذن فإن وجود هذه المشكلة المستعصية وعوامل سياسية وعقائدية أخرى ـ أشرنا إليها في مدخل البحث عن حجية خبر الواحد في فصل تاريخ تدوين الحديث ـ دفعهم الى مواجهة مشكلة اختلاف الحديث مواجهة سلبية لا إيجابية وذلك بمنع تدوين الحديث منعاً باتاً، وأمروا بإحراق كتب الحديث بدلاً من استخدام أساليب وحلول صحيحة لمعالجتها، وقد أشارت بعض المصادر لهذا الأمر مثل كتاب على أضواء السنة المحمدية لكن هذه المواجهة لم تعالج المشكلة، بل زادتها تعقيداً على طول التاريخ، حيث فتحت المجال للوضّاعين ايضاً ليكثروا من وضع الحديث وفق ما تفرضه ظروفهم ما يسببه الاعتماد على مجرد الذاكرة خلال هذه المدة الطويلة من وضع المغرضين للحديث، وإدخاله ضمن أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وصولاً لبعض الأغراض أو حصول الاشتباه في النقل والنسيان. والزيادة أو النقيصة في الأحاديث وأمثالها، فاضطروا بعد ذلك في بداية القرن الثاني إلى تدوين الحديث. غير أن العمل الجاد في تدوين الحديث بدأ في أواسط ذلك القرن، فقد كتب مالك موطّأه ولم يكن يتّبع في تدوينه منهجاً علمياً، بل كان يذكر فيه كل ما يميل إليه من أحاديث المدنيين، فذكر القليل من الأحاديث في كتابه معرضاً عن أحاديث العراقيين التي التزم بها فقه أبي حنيفة، حيث كان اتباع مدرسة آنذاك من العراقيين يتعصبون لأحاديثهم ويرمون أحاديث المدرسة الأخرى بالضعف.

إذن فلم يستخدموا طريقة حاسمة وعلمية لمعالجة الحديث، وقد اعتبرت فتاوى الفقهاء الأربعة مقدسة قبل تدوين الحديث السني،

ولذلك لم يكن لاختلاف الحديث أي أثر بعد تدوينه.

المرحلة الثانية: دور نشر الأحاديث والأحكام الصادرة عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام في بداية القرن الثاني، حيث ساعدتهما هذه الفترة الزمنية كثيراً في نشر الأحكام، فانه في هذه الفترة قد ضعفت الدولة الاموية والخلافة العباسية كانت في بدايتها وعدم استقرارها، ولذلك أمكنهم من نشر أحكامهم في ظل هذه الظروف.

وقد أحصى ابن عقدة أربعة آلاف من تلامذة الامام الصادق عليه السلام وما أحصاه ابن عقدة هو الأساس لرجال الطوسي حول الامام الصادق عليه السلام وقد استدرك عليه جماعة منهم ابن نوح، وقد أحسّ الرواة الذين تلقوا الاحاديث عنهما عليهما السلام بنوعين من الاختلاف فيها: النوع الاول: الاختلاف بين ما كانوا يسمعونه من الصادقين عليهما السلام عن الأحاديث المتداولة عند أهل السنة، فالراوي الكوفي يرى الاختلاف بين أحاديثهما عليهما السلام وأحاديث الكوفيين وهكذا الامر بالنسبة لأحاديث الحجازيين. ومن هنا نشأت مشكلة مخالفة أحاديث الصادقين عليهما السلام أحيانا لفتاوى العامة.

النوع الثاني: الاختلاف الذي رأوه في نفس الأحاديث الصادرة عن الأئمة عليهم السلام وفتاواهم، فتساءلوا أولاً عن علل هذا الاختلاف، وثانياً عن طرق علاجها، كما هو الملاحظ في مقبولة ابن حنظلة، وثالثاً قد يظهر تساؤلهم هذا من خلال عرض روايتين متعارضتين على الإمام وسؤاله عن العلاج، كالروايات المتعارضة الواردة في طهارة الخمر ونجاسته.

إذن فالرواة واجهوا نوعين من الاختلاف بين الأحاديث، وهناك شواهد عديدة عليهما، وقد عرض الرواة كلا النوعين على الإمامين عليهما السلام.

[كتاب تعارض الأدلة واختلاف الحديث]

لماذا اختلف الجمهور في كون التقصير رخصة أو عزيمة؟

السيد محمد رضا السيستاني

أقول: يبدو أن اختلاف الجمهور في كون القصر في السفر رخصة أو عزيمة إنما حدث بعد أن أقدم عثمان في أواخر عهده على إتمام الصلاة في عرفات ومنى حينما كان مسافراً لأداء الحج، وأما قبل ذلك فكان الكل يبنون على أن التقصير عزيمة اتباعاً لسنة النبي صلى الله عليه وآله، حتى إن عثمان نفسه لم يعتذر عن فعلته بأن التقصير رخصة فكان له أن لا يأخذ بها ولذلك أتم صلاته بل اعتذر بوجوه أخرى، وإنما حاول بعض المتأخرين من العامة توجيه ما صنعه من جهة أن التقصير رخصة وليس عزيمة.

وتوضيح الحال: أنه حكى الطبري في تاريخه ونحوه ما ورد في مصادر أخرى: أن عثمان حج بالناس عام تسعة وعشرين «فضرب بمنى فسطاطاً.. وأتم الصلاة بها وبعرفة، فذكر الواقدي عن صالح مولى التوأمة قال: سمعت ابن عباس يقول: إن أول ما تكلم الناس في عثمان ظاهراً أنه صلى بالناس بمنى في ولايته ركعتين حتى إذا كانت السنة السادسة أتمها، فعاب ذلك غير واحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وتكلم في ذلك من يريد أن يكثر عليه حتى جاءه علي عليه السلام فيمن جاءه، فقال: **والله ما**

حدث أمر ولا قدم عهد ولقد عهدت نبيكﷺ يصلي ركعتين ثم أبا بكر ثم عمر وأنت صدراً من ولايتك فما أدري ما يرجع إليه؟! فقال: رأي رأيتُه»[1].

وحكى الواقدي أيضاً بإسناده عن عبد الملك بن عمرو عن عمه قال: «صلى عثمان بالناس بمنى أربعاً فأتى آتٍ عبد الرحمن بن عوف فقال: هل لك في أخيك قد صلى بالناس أربعاً؟ فصلى عبد الرحمن بأصحابه ركعتين ثم خرج حتى دخل على عثمان فقال له: ألم تصلِّ في هذا المكان مع رسول اللهﷺ ركعتين؟! قال: بلى. قال: أفلم تصلِّ مع أبي بكر ركعتين؟! قال: بلى. قال: أفلم تصلِّ مع عمر ركعتين؟! قال: بلى. قال: ألم تصلِّ صدراً من خلافتك ركعتين؟! قال: بلى. قال عثمان: فاسمع مني يا أبا محمد، إنّي أُخبرت أن بعض من حج من أهل اليمن وجفاة الناس قد قالوا في عامنا الماضي: إنّ الصلاة للمقيم ركعتان، هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين، وقد اتخذت بمكة أهلاً فرأيت أن أصلي أربعاً لخوف ما أخاف على الناس. وأخرى ـ أي وعلة أخرى للإتمام ـ قد اتخذت بها زوجة ولي مال بالطائف فربما اطلعته فأقمت فيه بعد الصدر. فقال عبد الرحمن بن عوف: ما من هذا شيء لك فيه عذر، أما قولك: اتخذت أهلاً، فزوجتك بالمدينة تخرج بها إذا شئت وتقدم بها إذا شئت، إنما تسكن بسكناك. وأما قولك: ولي مال بالطائف، فإن بينك وبين الطائف مسيرة ثلاث ليال وأنت لست من أهل الطائف. وأما قولك: يرجع من حج من أهل اليمن وغيرهم فيقولون هذا إمامكم عثمان يصلي ركعتين وهو مقيم، فقد كان رسول اللهﷺ ينزل عليه الوحي والناس يومئذٍ الإسلام فيهم قليل، ثم أبو بكر مثل ذلك، ثم عمر، فضرب الإسلام بجرانه فصلى بهم عمر ـ حتى مات ـ ركعتين. فقال عثمان: هذا رأي رأيته»[2].

فيستفاد من النصوص التاريخية

(١) تاريخ الطبري ج: ٣ ص: ٣٢٢.

(٢) تاريخ الطبري ج: ٣ ص: ٣٢٢.

المذكورة أن من أسباب النقمة على عثمان هو ما أحدثه من إتمام الصلاة وهو مسافر، مما يكشف عن أنه كان تلقي المسلمين آنذاك عن التقصير في السفر أنه عزيمة لا رخصة[1]، حتى إن عثمان نفسه لم يعتذر عن فعلته بذلك، بل بوجوه ضعيفة ردها صاحبه عبد الرحمن بن عوف، ولكن تبعه بعد ذلك جمع من الصحابة ومنهم ابن مسعود وعبد الرحمن بن عوف نفسه ـ كما ورد ذلك في ذيل رواية الواقدي وفي مصادر أخرى ـ واعتذروا عن ذلك بـ(أن الخلاف شر)!

وروى الماردیني وابن حزم بإسنادهما عن سفيان بن عيينة عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: «**اعتل عثمان وهو بمنى فأُتي علي، فقيل له: صلِّ بالناس. فقال: إن شئتم صليت بكم صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله. قالوا: لا، إلا صلاة أمير المؤمنين ـ يعنون عثمان ـ أربعاً فأبى**»[2].

قد ورد هذا بمزيد من التفصيل في صحيحة زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**حج النبي صلى الله عليه وآله، فأقام بمنى ثلاثاً يصلي ركعتين ثم صنع ذلك أبو بكر وصنع ذلك عمر ثم صنع ذلك عثمان ستّ سنين ثم أكملها عثمان أربعاً فصلى الظهر أربعاً ثم تمارض ليشد بذلك بدعته فقال للمؤذن: اذهب إلى علي فقل له فليصلِّ بالناس العصر فأتى المؤذن علياً فقال له: إن أمير المؤمنين عثمان يأمرك أن تصلي بالناس العصر فقال: إذاً لا أصلي إلا ركعتين كما صلى رسول الله صلى الله عليه وآله فذهب المؤذن فأخبر عثمان بما قال علي عليه السلام، فقال: اذهب اليه، فقل له:**

(١) وأما احتمال أن يكون سبب نقمة المسلمين على عثمان هو مخالفته سنة النبي صلى الله عليه وآله ومن بعده في فعل عبادي له مظهر اجتماعي عام وإن لم تكن سنة واجبة فهو احتمال ضعيف في حدّ ذاته؛ لأن عدم الجري على السنن النبوية غير الواجبة كان أمراً معهوداً من عثمان ومن قبله، ولم يكن موجباً لنقمة المسلمين عليهم. مضافاً إلى أن عثمان نفسه لم يعتذر عن فعلته بكون التقصير رخصة، بل بوجوه أخرى مردودة. ولو كان تلقي المسلمين عن التقصير كونه رخصة لا عزيمة لكان ينبغي أن يعتذر بذلك، لكونه أولى بالقبول عندهم كما لا يخفى.

(٢) الجوهر النقي ج: ٣ ص: ١٤٧. المحلى ج: ٤ ص: ٢٧١.

إنك لست من هذا في شيء، اذهب فصلِّ كما تؤمر. قال علي عليه السلام: لا والله لا أقبل. فخرج عثمان فصلى بهم أربعاً فلما كان في خلافة معاوية واجتمع الناس عليه وقتل أمير المؤمنين عليه السلام حج معاوية فصلى بالناس بمنى ركعتين الظهر ثم سلّم، فنظرت بنو أمية بعضهم إلى بعض وثقيف ومن كان من شيعة عثمان ثم قالوا: قد قضى على صاحبكم وخالف وأشمت به عدوه فقاموا فدخلوا عليه فقالوا: أتدري ما صنعت؟! ما زدت على أن قضيت على صاحبنا وأشمت به عدوه ورغبت عن صنيعه وسنته، فقال: ويلكم أما تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وآله صلى في هذا المكان ركعتين وأبو بكر وعمر وصلى صاحبكم ست سنين كذلك فتأمرونني أن أدع سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وما صنع أبو بكر وعمر وعثمان قبل أن يحدث؟! فقالوا: لا والله ما نرضى عنك إلا بذلك، قال: فأقبلوا، فإني مشفعكم وراجع إلى سنّة صاحبكم، فصلى العصر أربعاً، فلم يزل الخلفاء والأمراء على ذلك إلى اليوم»[1].

فيظهر من ذلك أن الاختلاف في كون التقصير في السفر رخصة أو عزيمة لم يكن في الصدر الأول، وإنما حدث لاحقاً بعد أن أقدم عثمان على إتمام صلاته بمنى وهو مسافر، حتى إن كثيراً ممن حاولوا توجيه فعلة عثمان لم يبرروا ذلك بأن التقصير رخصة مع أنه أوجه بكثير من سائر توجيهاتهم التي تعرض لها العلامة الأميني قدس سره[2]، إذ الملاحظ أنه لم ينقل ذلك إلا عن محب الدين الطبري الذي وجه ما صنعه عثمان قائلاً: «إن عذره في ذلك ظاهر، فإنه ممن لم يوجب القصر في السفر»[3] ـ ثم قال: «وتبعه في ذلك شرّاح صحيح البخاري»، وعقب عليه بقوله: «هذا مخالف لنصوص الشريعة والمأثورات النبوية والسنة الشريفة الثابتة عن النبي الأقدس

(١) الكافي ج: ٤ ص: ٥١٨.
(٢) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ج: ٨ ص: ١٠٧ وما بعدها.
(٣) الرياض النضرة في مناقب العشرة ج: ٢ ص: ١٥١.

وكلمات الصحابة»[1]، ثم ذكر نماذج من مروياتهم في هذا المجال.

والحاصل: يبدو أن الأصل في اختلاف الجمهور في كون التقصير في السفر رخصة أو عزيمة هو فعل عثمان بإتمامه صلاتي الظهر والعصر بمنى وعرفات لرأي رآه ـ على حدّ تعبيره ـ فقد فتح ذلك المجال لبعض من تأخر عنه في تعميم الرخصة في الإتمام في السفر لكل مسافر.

وقد حاول جمع منهم التماس دليل على عدم كون التقصير عزيمة، فاستدل بعضهم بالتعبير الوارد في الآية الكريمة: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، ولكن سيأتي أن هناك كلاماً في تعلق هذه الآية المباركة بالتقصير في السفر لا بصلاة الخوف، مع أنه على تقدير تعلقها به فإن أقصى ما هناك هو عدم دلالتها على كون التقصير عزيمة؛ لأن نفي الجناح الوارد فيها أعم من الوجوب والاستحباب والإباحة كما سيأتي توضيحه إن شاء الله تعالى، ولا بد من البناء على الأول بموجب ما ثبت من السنة النبوية من المنع من الإتمام في السفر.

واستدل بعض آخر بما رووه عن عائشة من أنها قالت: «اعتمر رسول اللهﷺ وأنا معه، فقصر وأتممتُ الصلاة، وأفطر وصمتُ، فلما دفعت إلى مكة قلت: بأبي وأمي يا رسول الله قصرتَ وأتممتُ وأفطرتَ وصمتُ. قال: **أحسنت يا عائشة**»[2]. ولكن حكي عن أحمد بن حنبل أنه قال: «هذا حديث منكر»[3]، وحكى ابن القيم قال: «سمعت ابن تيمية يقول: هذا الحديث كذب على عائشة»[4]، وقد تعرض لهذا الحديث

(١) الغدير في الكتاب والسنة والأدب ج: ٨ ص: ١١٠.

(٢) السنن الكبرى للبيهقي ج: ٣ ص: ٢٠٤. وقد روي في السنن الكبرى للنسائي (ج: ٢ ص: ٣٦٤) بلفظ آخر الضمائر فيه كلها للمتكلم، ولذلك قال الطحاوي في شرح مشكل الآثار (ج: ١١ ص: ٢٥): «ظاهر هذا الحديث أن عائشة كانت قد قصّرت الصلاة مرة وأتمتها مرة».

(٣) الجامع لعلوم الإمام أحمد ج: ١٤ ص: ٣١٨.

(٤) زاد المعاد ج: ١ ص: ٤٥٤.

كل من الطحاوي[1] وابن حزم[2] أيضاً وناقشا فيه، ولكن ذكر الدارقطني والبيهقي[3] أن إسناده معتبر.

وهناك حديث آخر رووه أيضاً عن عائشة، وهو أنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يسافر فيتم الصلاة ويقصر»[4] أي: إنه كان يعمل على الوجهين فتارة يتم وأخرى يقصّر. وهذا الحديث مما ضعّفه ابن حزم[5] وغيره، ولكن صحّحه الدارقطني والبيهقي[6].

والمقصود من كل ما تقدم هو الإشارة إلى ما صنعه بعض الصحابة بسنة النبي ﷺ وما نجم عنه من اختلاف جمهور المسلمين في الأعصار اللاحقة في كون التقصير في السفر رخصة أو عزيمة..

(بحوث في صلاة المسافر)

(١) شرح مشكل الآثار: ج ١١، ص ٢٥ وما بعدها.
(٢) المحلّى: ج ٣، ص ١٨٩.
(٣) سنن الدارقطني: ج ٢، ص١٦٧. معرفة سنن الآثار: ج ٢، ص٤٢٥.
(٤) المحلّى: ج ٤، ص٢٦٩.
(٥) المحلّى: ج ٤، ص ٢٦٩.
(٦) عمدة القاري: ج٧، ص١٣٥.[المعرفة الدينية].

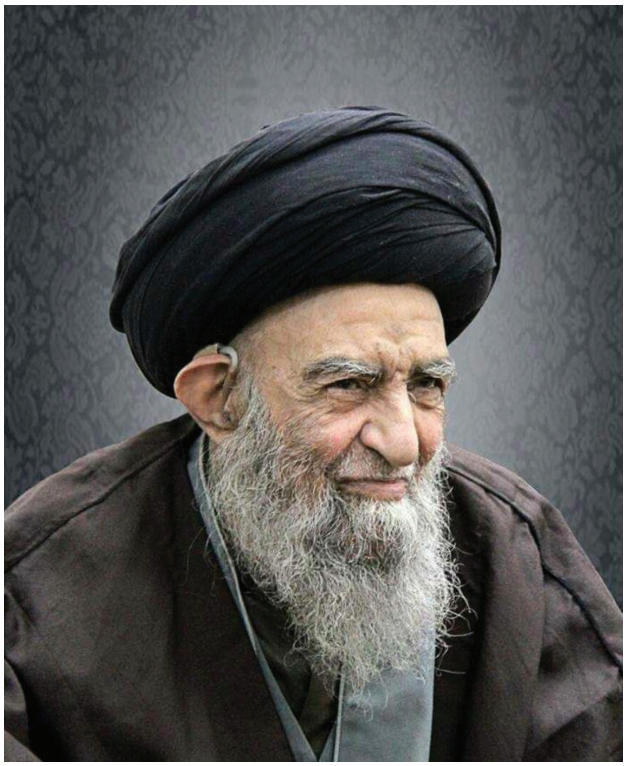

حديث معاشر الأنبياء لا نورّث

الفقيد الراحل السيد محمد مهدي الخرسان (طاب ثراه)

إنّ حديث: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورِّث**» حديث مكذوب على النبيﷺ، وهو القائل: «**مَن كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار**»[1].

روى الحديث أبو بكر فقط وفقط، ثمّ تتابعت رواة السوء على دعمه في زعمه، ومهما يكن فلنا أن نسأل البكريين: ما دام أبو بكر رَوَى الحديث وطبّقه عملياً مع فاطمة الزهراءعليها السلام، ما باله لم يعامل ابنته كما عامل فاطمةعليها السلام في بيتها الذي تملّكته من دون حق تمليك من النبيﷺ في حياته، وبقيت من بعده

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١: ٢٩ باب إثم من كذّب على النبيﷺ، وساق الحديث بأسانيد متعددة عن علي والزبير وأنس وسلمة وأبي هريرة وتفاوت في بعض الألفاظ، وأخرجه في أماكن أُخرى من صحيحه، وأخرجه مسلم في صحيحه: ج١، ص ٧ كما في المقدمة، وذكر حديث علي وأنس وأبي هريرة والمغيرة بن شعبة بأسانيد مختلفة وألفاظ متفاوتة، وأخرجه ابن ماجة، وأبو داود، والترمذي، وأحمد، والدارمي، والبيهقي، وابن حبان وآخرون كثيرون، راجع عنهم موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف: ج٤ص ٥٢٤.

تتصرف فيه تصرف الملاك في أملاكهم، حتى إنّ أبا بكر وعمر دفنا فيه بعد إذنها، فهل كان يحق له ذلك؟ وهل كان يحق لها ذلك؟ مع أنّهم جميعاً أجانب عن رسول الله صلى الله عليه وآله، فإن كان البيت ميراثاً وجب استئذان جميع الورثة، وإن كان صدقة وجب استئذان المسلمين، وإن كان ملكاً لعائشة كذّبها الحديث المشهور: «**ما بين منبري وبيتي روضة من رياض الجنة**»[1] ولم يرد في حديث: ما بين منبري وبيت عائشة روضة من رياض الجنة.

إنّها مسائل معضلة، لمن لا يريد فهم المشكلة، إنّها الدنيا وقد حليت في أعينهم فراقهم زبرجها، فارتكبوا كل أمر خطير، والحساب عسير.

ولو سلّم المجادل في صحة ما رواه أبوها وقال: يحق لعائشة في بيتها لا من جهة الإرث، لأنّه لها التسع من الثمن، ولكن النبي صلى الله عليه وآله ملّكها في حياته، فلماذا لم تطالب هي ولا واحدة من بقية الأزواج ببينة على أنّ البيوت لهنّ نحلة من النبي صلى الله عليه وآله، كما طولبت الزهراء عليها السلام بالبينة على غلتها، إنّها مفارقات عجيبة.

ورحم الله علي بن الفارقي مدرس العربية ببغداد، وقد سأله ابن أبي الحديد فقال: قلت له: أكانت فاطمة صادقة في دعواها؟ قال: نعم، قلت: فلِمَ لم يدفع إليها أبو بكر فَدَك وهي صادقة؟ فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فَدَك بمجرد دعواها، لجاءت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة، وزحزحته عن مقامه، ولم يكن يمكنه الاعتذار والمدافعة بشيء؛ لأنّه يكون قد سجّل على نفسه بأنّها صادقة فيما تدّعي، كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود[2].

[المحسن السبط مولود أم سقط]

(١) صحيح مسلم ٤: ١٢٣، عن أبي هريرة، وعن عبد الله بن زيد المازني في باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة.

(٢) شرح النهج لابن أبي الحديد: ج١٦ص٢٨٤.

أوراد تاريخية

حزن الشيعة له جذور أصيلة

فقيه أهل البيت السيد محمد سعيد الحكيم

(الأمر الأول): إنّ حزن شيعة أهل البيت (وفقهم الله تعالى وأعزّهم) بمناسبة مقتل سيد الشهداء الإمام الحسين (صلوات الله عليه)، وسائر مصائب أهل البيت عليهم السلام، وإحياء مراسم العزاء وإقامة شعائره، والإغراق في ذلك وتحري المناسبات له، ليست أموراً اعتباطية جرهم إليها التعصب والشقاق، ولا هي عادات محضة أخذوها عن أسلافهم وجروا عليها تقليداً لهم، كسائر التقاليد والعادات

التي تزاولها بعض المجتمعات، والتي ما أنزل الله بها من سلطان.

وإنما هي نشاطات لها جذور دينية أصيلة، وقد قامت عليها أدلة محكمة رصينة، أخبتوا لها وتحملوا من أجلها ما تحملوا من مصاعب ومصائب.

فكما ألزمتهم الأدلة القاطعة بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وآله والقبول منه، والتمسك بأهل بيته (صلوات الله عليهم) والائتمام بهم في دينهم، كذلك قد حَمَلهم النبي والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) بأقوالهم وسلوكهم على التعامل مع تلك الأحداث الفجيعة بهذا النحو من التعامل.

فقد استفاض عن النبي صلى الله عليه وآله في أحاديث الفريقين أنه أخبر عن ظلامة أهل بيته (صلوات الله عليهم)، ولاسيما الإمام الحسين عليه السلام، وذَكَر مصابهم فأكثر من البكاء عليها قبل وقوعها[1]. وكذلك الحال في أمير المؤمنين عليه السلام[2].

بل بكت الأنبياء عليهم السلام على الإمام الحسين عليه السلام في أعماق التاريخ[3]. وبكته بعد مقتله الأرض والسماء دماً، كما روى ذلك الفريقان[4]. بل ورد أن جميع الموجودات قد بكته[5] في تفاصيل لا يسعنا سردها[6].

وقد عُدّ في النصوص من البكائين الصديقة الطاهرة الزهراء عليها السلام، لأنها أكثرت من البكاء على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله، والإمام زين العابدين عليه السلام، لأنه أكثر من البكاء على أبيه الحسين عليه السلام[7].

وفي الحديث عنه عليه السلام أنه قال: «إني

(١) انظر: كامل الزيارات: ص ١٢٧، مسند أحمد: ج ٣ ص ٢٤٢، مجمع الزوائد: ج ٩ ص٨٨١.

(٢) كتاب صفين، نصر بن مزاحم: ص ١٤٠.

(٣) كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه القمي: ص ١٣٧.

(٤) منها ما أخرجه الطبري وغيره من بكاء السماء على الحسين عليه السلام، انظر: جامع البيان للطبري: ج ٢٥ ص ١٦٠، الجامع لأحكام القرآن: ج ١٦ ص ١٤.

(٥) كامل الزيارات: ص ١٧٩.

(٦) روى البيهقي بإسناده عن أبي قبيل قال: لما قتل الحسين بن علي (رضي الله عنهما) كسفت الشمس كسفة بدت الكواكب نصف النهار. (السنن الكبرى: ج ٣ ص ٣٣٧).

(٧) الخصال، الشيخ الصدوق: ص ٣٧٢.

لم أذكر مصرع بني فاطمة إلا خنقتني العبرة لذلك»[1].

وفي حديث الإمام الصادق عليه السلام عنه عليه السلام قال: «وكان جدي إذا ذكره بكى حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه»[2].

وفي حديث عمارة المنشد قال: «ما ذكر الحسين بن علي عند أبي عبد الله جعفر بن محمد فرُئيَ أبو عبد الله ذلك اليوم مبتسماً إلى الليل»[3].

وكان هو وبقية الأئمة عليهم السلام يتحرّون المناسبات للحديث عن تلك الفجائع، والبكاء عليها، والحثّ على ذلك، وعلى إقامة المجالس المذكّرة بها، وما أكثر المآتم التي كانوا يقيمونها عليهم السلام بأنفسهم حينما يفد الشعراء عليهم ليذكروا مصابهم.

وفي الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «ولقد شققن الجيوب ولطمن الخدود الفاطميات على الحسين بن علي. وعلى مثله تلطم الخدود وتشق الجيوب»[4].

وعنه عليه السلام: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي فإنه فيه مأجور»[5].

وفي دعائه عليه السلام الطويل لزوّار الحسين عليه السلام: «اللهم إن أعداءنا عابوا عليهم بخروجهم، فلم ينههم ذلك عن الشخوص إلينا خلافاً منهم على من خالفنا، فارحم تلك الوجوه التي غيرتها الشمس... وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا...»[6].

وفي حديث مسمع كردين البصري بعد أن وصف حزنه على الحسين عليه السلام، قال له أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «رحم الله دمعتك، أما أنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا، والذين يفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا، ويأمنون إذا أمنا، أما أنك سترى عند موتك حضور آبائي ووصيتهم

(١) الأمالي للصدوق: ص ٤٠٢.
(٢) كامل الزيارات: ص ١٦٨.
(٣) كامل الزيارات: ص ٢١٤.
(٤) تهذيب الأحكام: ج ٨ ص ٣٢٥.
(٥) كامل الزيارات: ص ٢٠١، ٢٢٩.
(٦) كامل الزيارات: ص ٢٠١، ٢٢٩.

ملك الموت بك، وما يلقونك به من البشارة أفضل، وملك الموت أرق عليك وأشد رحمة لك من الأم الشفيقة على ولدها.

قال: ثم استعبر واستعبرت معه، فقال: **الحمد لله الذي فضلنا على خلقه بالرحمة، وخصنا أهل البيت بالرحمة...**»[1].

وفي حديث الريان بن شبيب عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال - في حديث-: «**يا بن شبيب إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا فلو أن رجلًا أحبّ حجراً لحشره الله عزّ وجلّ معه يوم القيامة**»[2].

وفي المأثور عنهم عليهم السلام: «**شيعتنا خلقوا من فاضل طينتنا، وعجنوا بماء ولايتنا، يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا**»[3]... إلى غير ذلك مما لا يحصى كثرة. وقد خُصصّت كتب كثيرة لجمعه وتبويبه بنحو يسهل التعرف عليه.

وحقيق بشيعة أهل البيت، بل بالمسلمين عامّة، أن يتعرفوا على الكم الهائل مما ورد في ذلك. ولاسيما بعد أن صار في المتناول وسهل التعرف عليه بسبب حملة الطبع والنشر الحديثة. ليكونوا بذلك على بصيرة من الأمر، وتتجلى لهم هذه الحقيقة، وليعرفوا أنهم لم يؤدوا بعد ولا يؤدوا حق ذلك مهما جهدوا.

[من وحي الطف]

(١) كامل الزيارات: ص ٢٠٣.
(٢) عيون أخبار الرضا: ج ٢ ص ٢٦٩.
(٣) شجرة طوبى: ج ١ ص ٣.

نشأة أبي الفضل العباس عليه السلام

السيد عبد الرزاق المقرم

مـمّـا لا شـكّ فيه أنّ لنفسيات الآبـاء ونزعاتهم وكمياتهم من العلم والخطر أو الانـحـطـاط والضعة دخـلاً تاماً فـي نـشـأة الأولاد وتـربـيـتـهـم، إنّ لـم نـقـل إنّ مقتضاهما هو العامل الوحيد في تكيّف نفسيات الناشئة، بكيفيات فاضلة أو رذيلة، فلا يكاد يرتئي صاحب أي خطة إلّا أن يكون خَلَفُهُ على خطته، ولا أن الخَلَفَ يتحرّى غير ما وجد عليه سلفه، ولذلك تجد في الغالب مشاكلة بين الجيل الأول والـثـانـي

في العادات والأهواء والمعارف والعلوم، اللهمّ إلّا أن يوسد هناك تطوّر يكبح ذلك الاقتضاء.

وعلى هذا الناموس يسعنا أن نعرف مقدار ما عليه أبي الفضل عليه السلام من العلم والمعرفة وحسن التربية بنشوئه في البيت العلوي، منبثق أنوار العلم، ومحط أسرار اللاهوت، ومختبأ نواميس الغيب، فهو بيت العلم والعمل، بيت الجهاد والورع، بيت المعرفة والإيمان:

بَيتُ عَلَا سَمكَ الضِّراحِ رِفعَةً
فَكانَ أعلى شَرفاً و أمنَعَا
أعـزَّهُ اللّـهُ فَما تَهبِطُ فِي
كَعبَتِهِ الأملاكُ إلّا خُضَّعَاً
بَيتٌ مِن القدس ونَاهيك بِهِ
مَحطُ أسرارِ الهُدى ومَوضِعَا
وكَان مأوى المُرتَجى والمُلتَجى
فَما أعزّ شَأنهُ وأرفَعَا

وبسيف صاحب هذا البيت المنيع انجلت غواشي الإلحاد، وببيانه تقشّعت غيوم الشُبَه والأوهام.

إذن، فطبع الحال يدلّنا على أنّ سيّد الأوصياء لم يبغِ بابنه بدلاً في حسن التربية الإلهية، ولا أنّ شظية الخلافة يروقه غير اقتصاص أثر أبيه الأقدس، فلك هاهنا أن تحدّث عن بقيّة أمير المؤمنين في أيّ ناحية من نواحي الفضيلة، ولا حرج.

لم تكن كُلُّ البصائر في أبي الفضل عليه السلام اكتسابية، بل كان مجتبلاً من طينة القدّاسة التي مزيجها النور الإلهي، حتّى تكونت في صُلب من هو مثال الحقّ، ذلك الذي لو كشف عنه الغطاء ما ازداد يقيناً، فلم يصل أبو الفضل عليه السلام إلى عالم الوجود إلّا وهو معدن الذكاء والفطنة، وأُذن واعية للمعارف الإلهية، ومادة قابلة لصور الفضائل كُلّها، فاحتضنه حِجْر العلم والعمل، حجر اليقين والإيمان، وعادت أرومته الطيّبة هيكلاً للتوحيد، يغذيه أبوه بالمعرفة، فتشرق عليه أنوار الملكوت، وأسرار اللاهوت، وتهب عليه نسمات الغيب، فيستنشق منها الحقائق.

دعاه أبوه عليه السلام في عهد الصبا وأجلسه في حجره وقال له: «**قل واحد!** فقال: واحد، فقال له: **قل**

اثنين! قال: استحي أن أقول اثنين باللسان قلت واحداً اثنان».

وإذا أمعنّا النظر في هذه الكلمة ـ وهو على عهد نعومة أظفاره في حين أنّ نظراءه في السن لا يبلغون إلى ما هو دون ذلك الشأو البعيد ـ فلا نجد بداً من البخوع بأنّها من أشعة تلك الإشراقات الإلهية، فما ظنّك إذن حينما يلتقي مع المبادئ الفيّاضة من أبيه سيّد الوصيين، وأخويه الإمامين سيّدي شباب أهل الجنّة، فلا يقتني من خزائن معارفهم إلّا كُلّ دُرّ ثمين، ودرّي لامع.

وغير خفيّ ما أراده سيّدنا العبّاس، فإنّه أشار إلى أنّ الوحدانية لا تليق إلّا بفاطر السموات والأرضين، ويجلّ مثله المتفرّع من دوح الإمامة أن يجري على لسانه الناطق بالوحدانية لباري الأشياء صفة تنزّه عنها سبحانه وتعالى وعنها ينطق كتابه المجيد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].

ومـمّـا زاد في سـرور أبيه أمير المؤمنين أنّ زينب العقيلة عليها السلام كانت حاضرة حينذاك وهي صغيرة فقالت لأبيها أتحبّنا؟ قال: **بلى**.

فقالت: لا يجتمع حبّان في قلب مؤمن: حبّ اللّه، وحبّ الأولاد، وإن كان ولا بدّ فالحبّ للّه تعالى والشفقة للأولاد، فأعجبه كلامها وزاد في حُبّه وعطفه عليهما.

أمّـا العلم، فهو رضيع لبانه، وناهيك في حجر أبيه مدرسة يتخرّج منها مثل أبي الفضل عليه السلام! وما ظنّك بهذا التلميذ المصاغ من جوهر الاستعداد، وذلك الأُستاذ الذي هو عيبة العلم الإلهي، وعلبة أسرار النبوّة، وهو المقيّض لنشر المعارف الربوبية، وتعلم الأخلاق الفاضلة، ونشر أحكام الإسلام، ودحض الأوهام والوساوس.

وإذا كان الإمام عليه السلام يُربّي البعداء الأجانب بتلك التربية الصحيحة المأثورة، حتّى استفادوا منه اسرار التكوين، ووقفوا على غامض ما في النشأتين، وكان عندهم بواسطة تلك التربية علم المنايا والبلايا، كحبيب بن مظاهر، وميثم التمّار،

ورُشَيْد الهَجَري، وكميل بن زياد، وأمثالهم، فهل من المعقول أن يذر قرّة عينه، وفلذة كبده خلواً من أي علم؟!

أو أن قابلية المحلّ تربى بأولئك الأفراد دون سيّدنا العبّاس عليه السلام؟

لا واللّه، ما كان سيّد الأوصياء يضنّ بشيء من علومه، لا سيّما على قطعة فؤاده، ولا أنّ غيره ممّن انضوى إلى أبيه علم الهداية يُشقّ له غبار في القابلية والاستعداد.

فهنالك التقى مبدأ فيّاض، ومحلّ قابل للإفاضة، وقد ارتفعت عامّة الموانع، فذلك برهان على أنّ «عباس اليقين» من أوعية العلم، ومن الراسخين فيه.

ثُمَّ هلمّ معي إلى جامعتين للعلوم الإلهية، ملازمتين للجامعة الأُولى في نشر المعارف، وتقيضهما لإفاضة التعاليم الحقّة لكُلِّ تلميذ، والرقي به إلى أوج العظمة في العلم والعمل، ألا وهما «كليّتا» السبطين الحسن والحسين عليهما السلام. وانظر إلى ملازمته أخويه بعد أبيه سيّد الأوصياء، ملازمة الظلّ لديه، فهناك يتجلّى لكَ أنّ سماء علمهما لم تهطل وبالاً إلّا وعاد لؤلؤاً رطباً في نفسه، ولا أنفقا شيئاً من ذلك الكنز الخالد إلّا واتخذه ثروة علميّة لا تنفد.

أضف إلى ذلك ما كان يرويه عن عقيلة بيت الوحي، زينب الكبرى عليها السلام، وهي العالمة غير المعلّمة بنصّ الإمام زين العابدين عليه السلام.

وبعد هذا كُلِّه، فقد حوى أبو الفضل من صفاء النفس، والجِبِلّة الطيّبة، والعنصر الزاكي، والإخلاص في العمل، والدأب على العبادة، ما يفتح له أبواباً من العلم، ويوقفه على كنوز المعرفة، فيتفرّع من كُلِّ أصل فرع، وتنحلّ عنده المشكلات.

وإذا كان الحديث ينصّ على أنّ مَن أخلص للّه أربعين صباحاً انفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، إذن فما ظَنّك بمن أخلص للّه سبحانه طيلة عمره، وهو متخلٍّ عن كُلِّ رذيلة، ومتحلٍّ بكُلِّ فضيلة، فهل يبقى إلّا أن تكون ذاته المقدّسة

متجلّية بأنوار العلوم والفضائل، وإلّا أن يكون علمه تحقّقاً لا تعلّقاً؟!

وبعد ذلك فما أوشك أن يكون علمه وجدانياً، وإن برع في البرهنة وتنسيق القياس، ومن هنا جاء المأثور عن المعصومين عليهم السلام: «**إنّ العبّاس بن علي زُقَّ العِلمُ زقاً**».

وهذا من أبدع التشبيه والاستعارة، فإنّ الزقّ يستعمل في تغذية الطائر فرخه حين لم يقوَ على الغذاء بنفسه، وحيث استعمل الإمام عليه السلام ـ وهو العارف بأساليب الكلام ـ هذه اللفظة هنا، نعرف أنّ أبا الفضل عليه السلام كان محلّ القابلية لتلقي العلوم والمعارف، منذ كان طفلاً ورضيعاً، كما هو كذلك بلا ريب.

فلم يكن أبو الفضل بِدْعَاً من أهل هذا البيت الطّاهر الذي حوى العلم المتدفّق منذ الصغر، كما شهد بذلك أعداؤهم، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: أنّ رجلاً مرّ بعثمان بن عفان وهو قاعد على باب المسجد، فسأله، فأمر له بخمسة دراهم، فقال له الرجل: أرشدني، قال عثمان: دونك الفتية الذين تراهم، وأومأ بيده إلى ناحية من المسجد فيها الحسن والحسين وعبد اللّه بن جعفر، فمضى الرجل نحوهم وسألهم، فقال له الحسن: **يا هذا، المسألة لا تحلّ إلّا في ثلاث: دم مفجع، أو دين مقرح، أو فقر مدقع، أيّتها تسأل؟** فقال: في واحدة من هذه الثلاث، فأمر له الحسن بخمسين ديناراً، والحسين بتسعة وأربعين ديناراً، وعبد اللّه بن جعفر بثمانية وأربعين، فانصرف الرجل ومرّ بعثمان، فحكى له القصّة وما أعطوه، فقال له: ومَن لك بمثل هؤلاء الفتية، أولئك فطموا العلم فطماً، وحازوا الخير والحكمة.

قال الصدوق بعد الخبر: «معنى (فطموا العلم): أي قطعوه عن غيرهم وجمعوه لأنفسهم».

وجاء في الأثر: أنّ يزيد بن معاوية قال في حقّ السجاد: «إنّه من أهل بيت زقوا العلم زقاً».

[العباس بن أمير المؤمنين]

محمد بن أبي بكر (رضوان الله عليه)

السيد محمد بحر العلوم

اجتمع المجلس في رحبة الكوفة، ضم عددا ممن صهرتهم الأيام بشدتها، وأرهقتهم بآلامها، وهم يترقبون أخبار مصر ووالياها، وخيَّم عليهم صمت، وغـاب كل منهم في فكر، شيء غير طبيعي، الوجوم، والارتباك، والوحشة.

إن معاوية أخذ يعلنها حربا شعواء على الإمام علي عليه السلام، ويطارد أصحابه ويفعل الأفاعيل، والقوم لم يحركهم قول، ولم يدفعهم ثأر..

لم يكن علي بالثائر اليوم اعتباطا، عندما خطب فيهم، بعدما بلغه التكالب الأموي على محمد بن أبي بكر، واليه على مصر، وقال فيما قال: **أما بعد فهذا صريخ محمد بن أبي بكر، وإخوانكم من أهل مصر، قد سار إليهم ابن النابغة، عدو الله، وعـدو من والاه، وولـي من عادى الله فلا يكون أهل الضلال إلى باطلهم، والركون إلى سبيل الطاغوت أشد اجتماعا على باطلهم وضلالتهم**

منكم على حقكم...

إنما كان الإمام عليه السلام متأثرا من وضع أصحابه، حيث إن القوى الباطلة، أخذت تغزوهم في عقر دارهم، وهم في معزل عن الأمر، ورغم أن الهجوم الأموي مستمر في كل الجبهات، فهم سكوت ولا متحرك، ولم يكن هذا الخطاب منه إلّا لتثبيت الحجة عليهم، فهو يقول لهم، معاتبا: ألا دين يجمعكم! ألا حمية تغضبكم! ألا تسمعون بعدوكم يقتنص بلادكم، ويشن الغارة عليكم، أوليس عجبا أن معاوية يدعو الجفاة الطغام الظلمة؛ فيتبعونه على غير عطاء ولا معونة، ويجيبونه في السنة المرة، والمرتين، والثلاث، إلى أي وجه شاء، ثم أنا أدعوكم - وأنتم أولوا النهي، وبقية الناس - تختلفون وتفترقون عني، وتعصونني، وتخالفوني علي...

ومع هذا فقد انشدت الكوفة إلى أخبار مصر، والجيش الزاحف عليها من قبل معاوية بقيادة عمرو بن العاص، وما سيكون مصير واليها محمد بن أبي بكر رضي الله عنه.

مصر كانت حلم ابن العاص أن يستولي عليها الجيش الأموي فإنه يطمع بها وليس له، إلا عن طريق معاوية فكل منهما متمم للآخر، ولم يكن هذا بالجديد، فقد ورد عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله عن طريق زيد بن أرقم، وعبادة بن الصامت، مرفوعا: **إذا رأيتم معاوية وعمرو بن العاص مجتمعين، ففرقوا بينهما فإنهما لن يجتمعا على خير.**

فكر معاوية كثيرا في مصر؛ لأن فيها خراجا مهما، ومنفعة بالغة، وعرف أن فيها استعدادا لإعلان العصيان على الإمام علي عليه السلام فقد كان قوم فيها ساءهم قتل عثمان، وحمَّلوا عليا تلك المسؤولية، ولم تكن تلك إلا من تأثيرات معاوية، فجمع عددا من أصحابه من أمثال عمرو بن العاص، وبسر بن ارطأة، وغيرهما، ممن جمعتهم - مع معاوية- وحدة الطلب. وعندما تكامل العدد، قال معاوية: أتدرون لماذا دعوتكم؟

قالوا: لا.

قال: فإني دعوتكم لأمر، هو لي مهم، وأرجو أن يكون الله عز وجل قد أعان عليه.

فقال له القوم: إن الله لم يُطْلِعْ على غيبه أحدا، ولسنا ندري ما تريد!

فقال عمرو بن العاص: أرى والله، أن أمر هذه البلاد المصرية لكثرة خراجها، وعدد أهلها؛ قد أهمك، فدعوتنا تسألنا عن رأينا في ذلك فإن كنت لذلك دعوتنا، وله جمعتنا فأعزم وأصرم، ونعم الرأي ما رأيت! إن في افتتاحها عزك، وعز أصحابك، وذل عدوك، وكبت أهل الخلاف عليك..

قال معاوية: أهمك ما أهمك يا ابن العاص!.. وذلك أن عَمْرًا كان قد بايع معاوية على قتال علي، لتكن مصر له طعمة ما بقي.

فأقبل معاوية على أصحابه، وقال إن هذا ـ ويعني ابن العاص ـ قد ظن، وحقق ظنه، قالوا: ولكنا لا ندري أبا عبد الله قد أصاب.

فقال عمرو: وأنا أبو عبد الله، إن أفضل الظنون ما شابه اليقين..

وبعد صمت خيّم على المجلس، قاطعه معاوية قائلا: رأيت أن أحاول حرب مصر فماذا ترون؟

فقال عمرو بن العاص قد أخبرتك عما سألت، وأشرت عليك بما سمعت.

فقال معاوية لبقية الصحب: ما ترون؟

قالوا: نرى ما رأى عمرو بن العاص.

فقال معاوية: إن عمرًا قد عزم وصرم بما قال، ولم يفسر كيف ينبغي أن نصنع!؟

وتم الاتفاق بين القوم على غزو مصر، وجهز لها جيشا بقيادة ابن العاص، وخرج معاوية يودعه، وقلبه يركض معه ليبلغ مصر، وهو يقول: انظره، فإن تاب، وأناب قبلت منه، وإن أبى، فإن السطوة بعد المعرفة أبلغ في الحجة وأحسن في العاقبة.

وكانت الأخبار من مصر تصل للإمام علي عليه السلام سريعة، فيقف منها على بينة، وكان أمر محمد رضي الله عنه

يهمُّ عليا عليه السلام كثيرا، فقد كان يثني عليه ويفضله، لأنه كانت له عبادة، واجتهاد.

ولقد قيل للإمام علي عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر رضي الله عنه يا أمير المؤمنين.

فقال: **ما يمنعني؟ إنه كان لي ربيبا، وكان لبني أخا، وكنت له والدا، أعده ولدا .**

محمد رضي الله عنه ذلك الرجل الذي قضى شبابه في مدرسة الإمام علي عليه السلام ينتهل من نميرها، وحتى أصبح له ساعداً شامخاً، وصاحباً بصيراً، لا يحيد عنه في أحلك الظروف، ووقف إلى جانبه في كل أدوار حياته، ولو كان محمدٌ رضي الله عنه لا يحمل في جنبيه نفسية الرجل المؤمن المجاهد، الذي أخلص لدينه وعقيدته، لكان من الممكن لمعاوية أن يتسلل إلى روحية ابن أبي بكر، ويتسلط عليها بأي لون كان، من الإغراء، كما فعل مع الكثير من الصحابة والتابعين، ممن هم أقدم صلة بالرسول، وأكبر سنّاً من هذا الفتى المؤمن.

لقد كان المقياس في واقعية الرجل، هي مقدار ما يحمله من الإيمان والوفاء ومحمد رضي الله عنه من تلك الطبقة التي عاشت الحقيقة فركن إليها، وانصهر بحرارتها، ونال ما نال جزاء إيمانه.

فقد عمد معاوية بكل السبل المعروفة لديه، ولدى أصحابه المرتزقة أمثال ابن العاص، ومروان، وبسر، وسمرة بن جندب وغيرهم ممن باعوا ضمائرهم ودينهم، وشرفهم بمال معاوية، وجاه بني أمية..

لقد عمد معاوية إلى إغراء ابن أبي بكر، فلم تُجْدِ معه كل تلك الوسائل، فيئس منه، وهَمَّ على بالتخلص منه، ولايهمه أن يكون ابن الخليفة، وصاحب خليفة، وله عند الله مكانة، وجاه عظيم.

وقال له ابن العاص مرة: يا معاوية، لا تفكر في محمد بن أبي بكر، فإن حب علي أعمى بصره، وهدَّ عقله..

وما تطلب يا رجل من إنسان

تربّى في حجر علي عليه السلام إمام العدل والفضيلة حتى أصبح منه كأحد أولاده، وتحلّى بأخلاقه، وكيف يلين في دينه، ويتهاون في الباطل؟

وانفض مجلس السمر، ولم يغرب ذكر محمد بن أبي بكر عن الأذهان، فهو لم يكن الإنسان المتخاذل أمام العساكر، وهو الذي لا تأخذه في الله لومة لائم، فقد خرج يوم الجمل مع علي عليه السلام، وهو على الرجالة، ولا يهمه أن يكون محاربا لأخته عائشة، فالعاطفة ليس لها موقع في الدين، ومهما كان فقد عرف في قرارة نفسه أنه على الحق، وأن محاربه على غير الحق، فحمل راية الجهاد في يوم الجمل.

وهكذا كان في صفين يجول في وسط الميدان إلى جانب علي عليه السلام، وهو لا يبغي من دنياه إلا رضا الله عز وجل ورضا رسوله صلى الله عليه وآله، ورضا إمامه علي عليه السلام.

ووصل ابن العاص إلى مصر يخبّ السير بجيشه الجبار، واستعد له ابن أبي بكر، استعداد البطل الصامد، وخطب في قومه: أما بعد، يا معاشر المسلمين، فإن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمة، وينعشون الضلالة، ويشبون نار الفتنة، قد نصبوا لكم العداوة، وساروا إليكم بالجنود، فمن أراد الجنة والمغفرة فليخرج إلى هؤلاء القوم، فليجاهدهم في الله...

وتقدم كنانة بن بشر، قائدا على جيش محمد بن أبي بكر، وتقدم قائد الجيش الأموي معاوية بن حديج السكوني.

وتصاول الجيشان مدة من الزمن، ولكن القوات الشامية برئاسة ابن العاص، كانت اكثر عدة وعددا.

ولما رأى كنانة بن بشر أن الجيش الأموي قد طوقه من كل جانب، نزل عن فرسه ونزل أصحابه، وأخذوا يحاربون راجله وهو يقول: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، فلم يزل يضاربهم بسيفه، حتى استشهد رحمه الله.

ووصلت الأخبار إلى محمد بن أبي بكر ـ وهو في جانب من الميدان يدير المعركة ـ تفيد عن مقتل كنانة، وتفرّق القوم من حوله، ولم تمر عليه مدة، حتى بقي وحيدا؛ مما اضطر أن ينتهي إلى خربة، فآوى إليها، ودخل ابن العاص الفسطاط وأكّد على معاوية بن حديج أن يقبض على محمد، وفعلا عثر عليه وهو يكاد يموت من العطش، فقاتلهم قتال الأبطال ولكنهم تمكنوا من القبض عليه وانتزعوا منه سيفه وأقبلوا به إلى الفسطاط، حيث استقر فيها ابن العاص.

ووقف الأسير في وسط المجلس، ولكن بقوة وصبر وثبات، رغم ما أصابه من العطش، فطلب قليلا من الماء، فقال له معاوية بن حديج: لا سقاني الله إن سقيتك قطرة أبدا، والله لأقتلنك يا بن أبي بكر وأنت ظمآن، ويسقيك الله من الجحيم والغسلين.

وانتفض محمد، وهو البطل صارخا في وجهه: يا بن اليهودية النساجة، ليس ذلك اليوم إليك، إنما ذلك الى الله يسقي أولياءه ويظمي أعداءه، وهم أنت وقرناؤك، ومن تولاك، وتوليته، والله لو كان سيفي في يدي ما بلغتم مني ما بلغتم.

فقال معاوية: أتدري ما نصنع بك؟ ندخلك في جوف حمار ميت، ثم نحرقه عليك بالنار.

قال محمد: إن فعلتم ذاك بي فطالما فعلتم ذاك بأولياء الله، وايم الله إني لأرجو أن يجعل الله هذه النار التي تخوّفني بها ـ يا معاوية ـ بردا وسلاما، كما جعلها الله على إبراهيم خليله، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، وإني لأرجو أن يحرقك الله وإمامك معاوية بن أبي سفيان، وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظّى، كلما خَبَتْ زادها الله عليكم سعيراً.

فغضب معاوية، والتفت إلى ابن العاص، يطلب منه الإذن، فأشار إليه بذلك، ثم سبَّ علياً عليه السلام، وقدّم الصابر المجاهد فضرب عنقه، وقطع

رأسه، وأدخل جثته ـ هو وابن العاص ـ في جوف حمار وأحرقوه بالنار.

وأرسل ابن العاص رأسه إلى الشام لمعاوية، فطيف بدمشق أن زيّن المدينة، وجلّل مجالس السمر بالكوفة شبه ذهول، فقد بلغها قتل محمد، وحزن عليه علي عليه السلام حزنا عميقا، ثم رثى محمداً وابنّه وقلبه يتفطر أسى ولوعة، وقال فيما قال خاطباً: «**ألا وإن مصر قد افتتحها الفجرة أولياء الجور والظلم، الذين صدوا عن سبيل الله، وبغوا الإسلام عوجا، ألا وإن محمد بن أبي بكر قد استشهد رحمة الله عليه، وعند الله نحتسبه، أما والله إن كان ما علمت لممن ينتظر القضاء، ويعمل للجزاء، ويبغض شكل الفاجر، ويحب هدى المؤمن..**».

ولملم علي عليه السلام جراحه، وأضاف إليها جرحا جديدا، فقد اصطدم بعزيز من أصحابه، حيث يقول فيه: **فما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعي عليه، كان لي ربيبا وكنت أعده ولدا، وكان بي برا، فعلى مثل هذا نحزن، وعند الله نحتسبه .**

وأطل النبأ الحزين على المدينة، وفي طياته أكثر من ذكرى، وأهاج فيها المصاب، ولوّعها ما قدر، وروعت عائشة زوج الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وأخته، وجزعت عليه جزعاً شديداً، وكانت في دبر كل صلاة تدعو على معاوية، وابن العاص.

ثم حلفت أن لا تأكل شواءً أبدا بعد قتل محمد، حتى لحقت بالله وما عثرت قطُّ إلا قالت: تعس معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، ومعاوية بن حُدَيْج.

وإن أمه أسماء بنت عميس لما نعي إليها ولدها، وما صنع به، قامت إلى مسجدها، وكظمت غيظها حتى تشخبت دما..

أسرع المبشرون إلى معاوية يحملون له كتاب ابن العاص يخبره فيه عن مقتل ابن أبي بكر، وكنانة بن بشر، فأذّن معاوية بقتله على المنبر، وسر سروراً عظيماً.

يقول الراوي للإمام علي عليه السلام: يا أمير المؤمنين، ما رأيت يوما قطُّ

سرورا مثل سرور رأيته بالشام، حين قتل محمد بن أبي بكر.

قال الإمام عليه السلام: **إن حزننا على قتله، على قدر سرورهم به، لا، بل يزيد أضعافا.**

وكما يقول المثل: والفضل ما شهدت به الأعداء.

فقد استولى ابن العاص على كتاب الإمام علي عليه السلام، الذي وجهه إلى محمد بن أبي بكر حين ولاه مصر، وبعث به إلى معاوية، فكان ينظر إليه ويتعجب، فقال له الوليد بن عقبة، وهو عند معاوية، وقد رأى إعجابه به: مر بهذه الأحاديث أن تحرق.

فقال معاوية: مه لا رأي لك!

فقال الوليد: أفمن الرأي أن يعلم الناس أن أحاديث أبي تراب عندك تتعلم منها؟

قال معاوية: ويحك أتأمرني أن أحرق علما مثل هذا، والله ما سمعت بعلم هو أجمع منه، ولا أحكم.

فقال الوليد: إن كنت تعجب من علمه وقضائه، فعلام تقاتله؟

فقال: لولا أن أبا تراب قتل عثمان، ثم أفتانا لأخذنا عنه، ثم سكت هنيهة، ونظر إلى جلسائه، فقال: إنا لا نقول إن هذه من كتب علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكن نقول: هذه من كتب أبي بكر الصديق، كانت عند ابنه محمد، فنحن ننظر فيها، ونأخذ منها.

وانطوى الزمن، وبقيت ذكرى محمد بن أبي بكر كالعطر لا يجف، وكالنور لا يخمد، وانطمر ذكر معاوية الجبار، وصدى ابن العاص الحاقد، وكل من لفهم الحكم الأموي؛ ذلك لأن محمدا، وأمثال محمد على الحق، ومعاوية وأضراب معاوية على الباطل، وصولة الباطل لن تدوم... .

[من مدرسة الامام علي عليه السلام]

وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

السيد محمد تقي الحكيم

وجاءت الساعة المنتظرة فكانت أسوأ ساعة تمر على آل البيت من ذلك اليوم، وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وأُعلن الخبر فسرت في الحضور وجمة طبقت أرجاء البيت ثم علّتْ من أحدهم صيحة نبّهت الحاضرين إلى ما أحاط بهم من هول الفاجعة، فتجاوب الصياح من الجميع، وتسامع الناس فأقبلوا يهرعون، وجاء – فيمن جاء – عمر بن الخطاب ومعه المغيرة وكان أبو بكر إذ ذاك بالسنح فدخلا عليه – فيما تحدّث عائشة –: «وكشفنا الثوب عن وجهه فقال عمر: واغشيا ما أشد غشي رسول الله ثم قاما فلما انتهيا إلى الباب قال المغيرة: يا عمر مات والله رسول الله، فقال عمر: كذبت ما مات رسول الله ولكنّك رجل تحوشك فتنة، ولن يموت رسول الله حتى يفني المنافقين..»[1] ثم قام خطيباً فتوعّد أهل النفاق وقال فيما قال – كما في رواية عكرمة –: «إن رسول الله لم يمت ولكن إنّما عُرج بروحه كما عُرج بروح موسى، لا يموت رسول الله حتى يقطع أيدي أقوام وألسنتهم، قال: فما زال عمر يتكلم حتى أزبد شدقاه..»[2].

وما أدري.. أين كان صاحبنا عند موت النبي صلى الله عليه وآله.

وهل شاهد ابن الخطاب وهو يشكّك الناس بموته، ويتهدد من يقول بذلك – كما في رواية أخرى ـ بالقتل[3] وهل داخله الشك به لهذا الكلام؟

الذي أقرُّ به أنه كان حاضراً إذ ذاك وما كان ليغيب عن أمثال هذه المشاهد، وشاهد النبي صلى الله عليه وآله وهو يلقي بنَفَسِه الأخير وإنه لمستند إلى صدر علي – كما تشعر به الرواية السالفة –.

(١) طبقات ابن سعد: ج٢ قسم٢ص ٥٤.

(٢) المصدر السابق: ج٢ قسم ٢ ص٥٣، وانظر تأريخ اليعقوبي: ج٢ص٩٥، وأنظر تأريخ ابن خلدون: ج٢ص ٢٦٩، وانظر تأريخ الطبري: ج٣ ص١٩٧.

(٣) انظر تأريخ الطبري: ج٣ ص١٩٨.

وجزع فيمن جزع من آل البيت – وقد يكون من أكثرهم جزعاً – واستمع لحماسة ابن الخطاب، وربّما تأثر فألهته عن التفكير فيما عداها من الشؤون، وود لو أنها تصدق فيرجع رسول الله صلى الله عليه وآله، واسترسل بتلكم الأحلام لولا أن يقطعها عليه صوت أبيه – وهو مَن هو بيقظته وجزمه – وقد رابه ما رابه من أمر هذا التشكيك غير الطبيعي، وتوجس خيفة مما يراد به، فأراد أن يوقفه عند جَدّه بقوله: «إن رسول الله قد مات فادفنوا صاحبكم، أيميت أحدكم إماتة واحد ويميته إماتتين؟! هو يبحث عنه التراب فيخرجه إن شاء الله، ما مات حتى ترك السبيل نهجاً واضحاً، أحلّ الحلال، وحرّم الحرام، ونكح وطلّق، وحارب وسالم، وما كان راعي غنم يتبع بها صاحبها رؤوس الجبال، يخبط عليها العِضاه بمخبطه، ويمدر حوضها بيده بأنصب ولا أدأب من رسول الله كان فيكم»[1] فيعيده إلى هذه الحقيقة المرة.

ولكن ابن الخطاب بقي على حماسته وتهديده حتى جاءه أبو بكر من السنح وخطب خطبته وتلا هذه الآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾[2] فقال عمر – متعجباً –: «هذا في كتاب الله؟! قال: نعم، – تقول هذه الرواية – فقال: أيها الناس هذا أبو بكر وذو شيبة المسلمين فبايعوه»[3].

وإذا صح مدلولها فإن الدعوة لأبي بكر بالبيعة كانت قبل حادثة السقيفة، ولعل ذلك أقرب لمنطق الحوادث كما سنراه بعد حين، وعلى أيٍّ فإن المهم أن نعرف عن صاحبنا – وهو يشهد هذه الرواية بجميع فصولها – هل استطاع أن يوفق بين إصرار عمر هنا على أنه صلى الله عليه وآله لا يموت، وإنما غاب كما غاب موسى عليه السلام وبين قولته يوم الخميس حين أراد رسول

(١) طبقات ابن سعد: ج٢ ق٢ص٥٣-٥٤.

(٢) آل عمران: الآية ١٤٤.

(٣) طبقات ابن سعد: ج٢ قسم٢ص ٥٤.

الله أن يكتب لهم كتاباً لن يضلوا من بعده: أن الرجل ليهجر وحسبنا كتاب الله، مما يدل على أنه كان حاسباً لموته ألف حساب، ومقدّراً للأمة العصمة من الضلالة - بعد موته - مكتفية بكتاب الله عن هذا الكتاب؛ لذلك يقول: حسبنا كتاب الله، وهل اعتبرها صدمة نفسية وهي عادة لا تكون إلّا بعد المفاجأة بالخبر المفجع الذي لم تسبقه بوادره مع أن النبي صلى الله عليه وآله عندهم مريض يكرر نعي نفسه يوماً بعد يوم، ويُعِد أجواءهم لتقبل ذلك، على أن الصدمة في العادة لا تكون إلّا بعد سماعه الخبر بلا فصل، وهو - كما شاهدتم - يسمع الخبر بهدوء فيأتي مع المغيرة ليكشف عن وجه النبي صلى الله عليه وآله فيقول: واغشياً، ويجيبه المغيرة وهما عند الباب «مات والله رسول الله»... إلى آخر هذه اللعبة.

وهل اعتبرها مع من اعتبرها يديرها هو من الناس ثورة مصطنعة يديرها هو والمغيرة بمجيئهم ليؤخروا الناس عن التفكر في شؤون الخلافة حتى يجيء أبو بكر، وإلّا فما باله لم ينصاع إلى العباس وهو ينكر عليه هذه الثورة بتلك اللهجة المركزة التي تنطوي على مرارة الواقع، وانصاع لأبي بكر، وماذا قال أبو بكر أكثر من تلاوته الآية التي تشعر بانقلابهم بعد موته، وهي لا تحدد زمن الموت وهو لا ينكره بتاتاً، بل يقول: حتى تقطع أيدي أقوام وألسنتهم، ثم استفهامه أهذه في كتاب الله؟ ليصعق بهذه كمن صدّق بالخبر كما تحدث بعض الروايات[1]، فينسى كل شيء إلا دعوة الناس إلى بيعة أبي بكر ذي شيبة المسلمين.

وعلى أيّ حال فقد أخذت هذه الحادثة مأخذها في التماس المبررات، فهو يقول تارة للمسلمين في اليوم الثاني من بيعة أبي بكر: «أمّا بعد فإني قلت لكم أمس مقالة لم تكن كما قلت، وإني والله ما وجدتها في كتاب أنزله الله ولا في عهدٍ عهده إليّ رسول الله، ولكني كنت أرجو أن يعيش رسول الله - يقول الراوي

(١) انظر تاريخ الطبري: ج٣: ص ١٩٨.

– فقال كلمة يريد حتى يكون آخرنا فاختار الله لرسوله الذي عنده»[1].

فهو هنا يصرح بأنه لم يجد هذه المقالة بكتاب الله ولا بعهد من رسوله، وهو أمام صاحبنا يلتمس بعد حين آية من القرآن يبرر بها موقفه ذاك قال ابن عباس: «والله إني لأمشي مع عمر في خلافته، وهو عامد إلى حاجة له وفي يده الدرّة، وما معه غيري، قال وهو يحدّث نفسه ويضرب وحشيّ قدمه بدرّته قال: إذ التفت إليّ فقال: يابن عباس هل تدري ما كان حملني على مقالتي التي قلت حين توفي رسول الله؟

قال: قلت: لا أدري يا أمير المؤمنين أنت أعلم، قال: فإنه والله إن كان الذي حملني على ذلك أني كنت أقرأ هذه الآية ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2]، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله سيبقى في أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها فإنه الذي حملني على أن قلت ما قلت»[3].

فهي – كما ترون – تسايره خواطرها حتى إلى ما بعد أيام خلافته، حتى إذا وجد آية من القرآن تحتمل الظن بما يريد حمّلها واستند إليها لتبرير هذه الفعلة، ولم يبررها بالدهشة، كما حاول أن يبررها بعد ذلك ابن روزبهان[4] وغيره.

ومهما يكن من أمر فقد نجح عمر بموقفه هذا وأخّر الناس عن التفكير بالخلافة حتى مجيء أبي بكر..

[عبد الله بن عباس حياته وسيرته]

(١) طبقات ابن سعد: ج٢ قسم ٢ ص٥٦، وانظر سيرة ابن هشام: ج٤ص٣٤٠.
(٢) البقرة: الآية ١٤٣.
(٣) سيرة ابن هشام: ج٤ص ٣٤١.
(٤) انظر دلائل الصدق: ج٣ قسم١ص ٧٢.

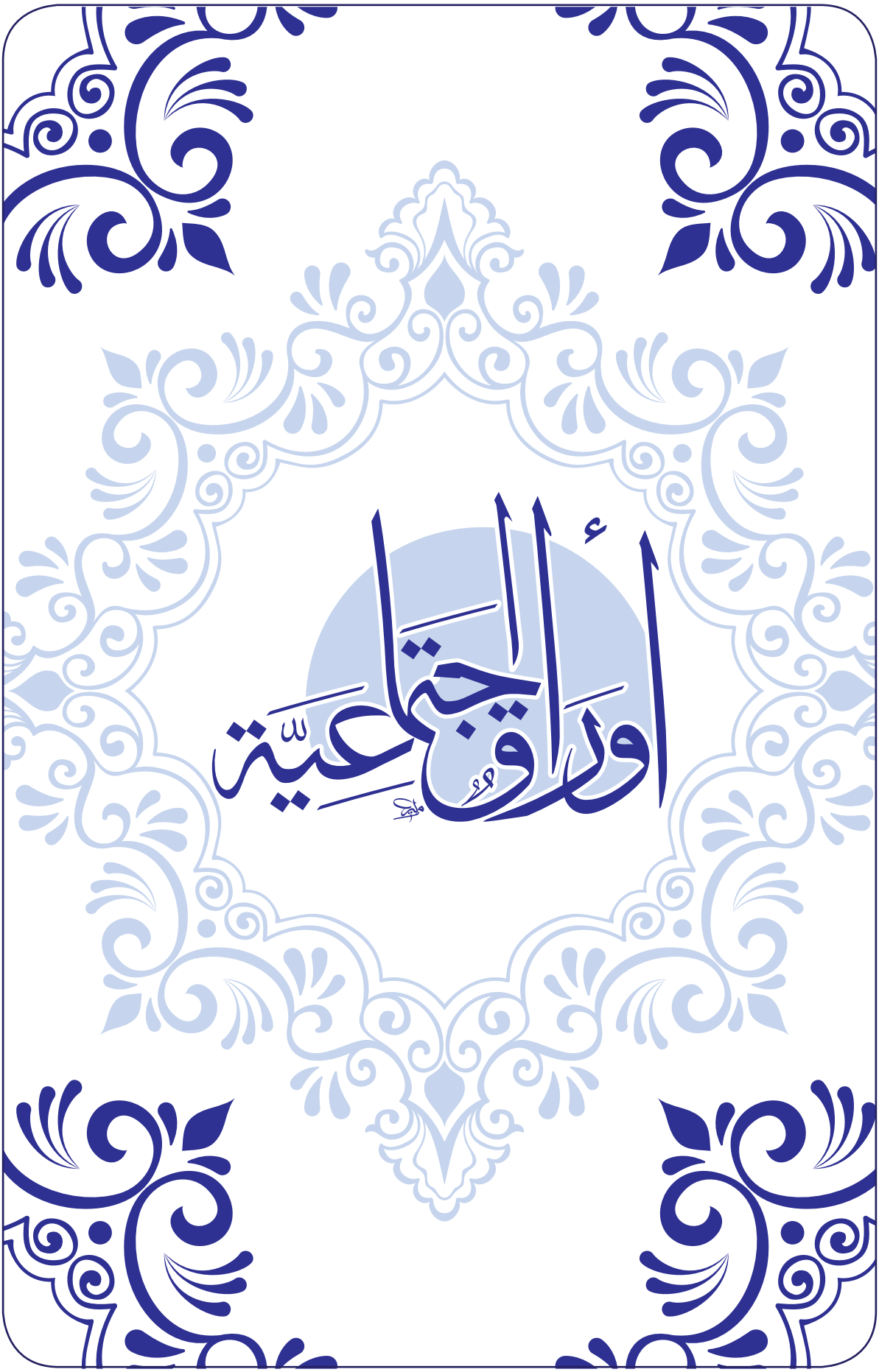
أوراد جماعية

المطلوب من الرئيس أشياء

العلامة الحلي

١ - جمع الآراء على الأمور الاجتماعية التي مناط تكليف الشارع فيها الاجتماع كالحروب والجماعات، فإنه من المستبعد بل المحال أن تجتمع آراء الخلق الكثير على أمر واحد وعلى مصلحة واحدة، وأن يعرف الكل تلك المصلحة ويتفقوا عليها، وأن يجتمعوا من البلاد المتباعدة، وأن تتفق دواعيهم على الحرب ومدته وجهته، والمهانات والمصلحة في جميع الأوقات، فإن الاتفاقي لا يكون دائما ولا أكثريا، ولا يقوم غير الرئيس في ذلك مقام الرئيس وهو ظاهر .

٢ - التقريب المتقدم فيما يحتاج فيه إلى الاجتماع، فإن الناس لا يتفقون على مقدم فيؤدي إلى الاختلاف، وهو نقض للغرض، فلا بد أن يتميز بآية من الله تعالى ويكون منزها من كل عيب، ويكون معصوما لئلا تنفر الطباع عنه .

٣ - حفظ نظام النوع عن الاختلال؛ لأن الإنسان مدني بالطبع لا يمكن أن يستقل وحده بأمور معاشه لاحتياجه للغذاء والملبوس والمسكن، وغير ذلك من ضروریاته التي تخصه، ويشاركه غيره من أتباعه فيها، وهي صناعة لا يمكن أن يعيش الإنسان مدة بصنعها، فلا بد من الاجتماع بحيث يحصل المعاون الموجب لتسهيل الفعل، فيكون كل واحد يفعل لهم عملا يستفيض منه أجرا، لا يمكن النظام إلا بذلك وقد يمتنع المجتمعون من بعضها، فلا بد من قاهر يكون التخصيص منوطا بنظره لاستحالة الترجيح من غير مرجح، ولأنه يؤدي إلى التنازع .

٤ - الطباع البشرية مجبولة على الشهوة والغضب والتحاسد والتنازع، والاجتماع مظنة ذلك فيقع بسبب

الاجتماع الهرج والمرج، ويختل أمر النظام فلا بد من رئيس يقهر الظالم وينصر المظلوم، ويمنع عن التعدي والقهر ويستحيل عليه الميل والحيف وإنما قصده الإنصاف، ويخاف من عقوبته العاجلة، فإن أكثر الناس أطوع لها الآجلة، لأنا نبحث على هذا التقدير بحيث يقاوم خوفه شهوته وغضبه وحسده، وغير الرئيس لا يقوم مقامه في ذلك لما تقدم، وأيضا فإنه معلوم بالضرورة .

٥ - الحدود لطف أمر الشارع بها، فلا بد لها من مقيم، وغير الرئيس يؤدي الى الهرج والمرج والترجيح بلا مرجح، فلا يقوم غيره مقامه في ذلك .

٦ - الوقائع غير محصورة، والحوادث غير مضبوطة، والكتاب والسنة لا يفيان بهما، فلا بد من إمام منصوب من قبل الله تعالى معصوم من الزلل والخطأ، يعرّفنا الأحكام ويحفظ الشرع، لئلا يترك بعض الأحكام أو يزيد فيها عمدا أو سهوا، أو يبدلها، وظاهر أن غير المعصوم لا يقوم مقامه في ذلك .

٧ - تولية القضاء الذين يجب العمل بحكمهم في الدماء والأموال والفروج، وسعاة الزكوات الأمناء على أموال الفقراء وأمراء الجيوش الواجبي الطاعة في الحروب وبذل النفس والقتل، والولاة أمر ضروري لنظام النوع، ولا بد أن يكون منوطا بنظر واحد لاستحالة الترجيح من غير مرجح، والواقع اختلاف الآراء وتضاد الأهواء، وغلبة الشهوات وتغاير المرادات واتفاق الخلق من أنفسهم ابتداء على واحد في هذه المناصب متعسر بل متعذر، وفي كل زمان على شخص واحد بالشرائط التي يستحق معها ذلك ممتنع، فإن الاتفاقي يستحيل أن يكون أكثرياً أو دائمياً، فذلك الواحد الذي يناط تولية هؤلاء بنظره لا بد أن يكون واجب الطاعة من قبل الله تعالى، ويستحيل من الحكيم إيجاب طاعة غير المعصوم في مثل هذه الأمور الكلية التي بها نظام النوع وعدم اختلاله، وظاهر أن غيره لا يقوم مقامه على

التقادير التي يبحث عنها .

٨ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لطف لا يقوم غيره مقامه لوجوبه من غير بدل، فالأمر لطف واجب لا يقوم غيره مقامه لامتناع تحقق الإضافة بدون تحقق المضافين، ولا بد أن ينتهي إلى معصوم لا يجوز عليه الخطأ بوجه من الوجود ولا السهو، وإلا لجاز أمره بالمنكر ونهيه عن المعروف، فلم يبق وثوق بقوله فانتفت فائدة التكليف به، ولأنه أما أن يكون كل واحد من الخلق مأمورا بأمر الآخر ونهيه من غير أن يكون هناك رئيس يأمر الكل وينهاهم أو مع رئيس والأول باطل، وإلا لوقع الهرج والمرج ولانتفى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ الغالب أن يرضى الواحد بترك تأليم غيره ليترك تأليمه، لأنا نبحث على تقدير غلبة القوة الشهوية والغضبية على القوة العقلية في أكثر الناس الذين يحصل بسبب تخليتهم على قواهم الشهوية والغضبية المفتضية لعدم التفاتهم إلى الشرائع اختلال نظام النوع، فتعين الثاني فلا يقوم غير الرئيس في ذلك مقامه، ولا بد أن يكون ذلك الرئيس من قبل الله تعالى بحيث تجب طاعته وجوباً عاماً، ولا بد أن يكون معصوماً.

٩ - العلم بالأحكام يقيناً لا ظناً بالاجتهاد، لأن المصيب واحد على ما بيناه في كتبنا الأصولية، وقد تتعارض الأدلة وتتساوى الأمارات، ويستحيل الترجيح بلا مرجح، وتتساوى أحوال العلماء بالنسبة إلى المقلدين، فلا بد من عالم بالأحكام يقيناً لا ظناً بالأمارة، ليرجع إليه مَن يطلب العلم ويطلب الصواب يقيناً.

[كتاب الالفين]

الأمراض الوراثية

الشيخ محمد تقي فلسفي

لسلوك الأم تأثير عميق في سعادة الأطفال وشقائهم، وعليه فالرجل الذي يأمل أن يحصل على ولد شريف وطاهر القلب لا بد له من أن يمتنع من التزوّج

من النساء البذيئات[1].

«لقد أثبت أطباء الأمراض النفسية أن من بين الأطفال المصابين بتلك الأمراض يوجد ٢٦٪ منهم ورثوها من أمهاتهم، إذ لو كانت الأم ذات جهاز عصبي سالم، فإن الطفل يكون سالماً أيضاً. فلو كانت تفكر الأم في صحة طفلها وسلامة جهازه العقلي فلا بد وأن تفكر في سلامة نفسها قبل تولده»[2].

إن هناك سلسلة من القوانين المتقنة والقوية تحكم الكون، وتلك القوانين هي التي أوجدت هذا النظام العظيم المحير للعقول في مختلف الكائنات والتي أخضعت جميع أجزاء العالم لحكمها، فكل موجود مضطر إلى الانقياد لها وإطاعتها.

[الطفل بين الوراثة والبيئة]

---

(١) والسر في ذلك واضح لأنّ الفلاح الذي يريد الحصول على ثمرة صالحة لا بد له من أن يبذر بذرته في تربة صالحة، وإلّا ففساد التربة يؤثر في الثمرة؛ لأنها تحيط بها وهي مصدر غذائها.

(٢) صحيفة (اطلاعات) الايرانية العدد ١٠٣٥٥.

الشذوذ الجنسي

الشيخ باقر شريف القرشي

وكان لتضاؤل نسبة الزواج وانخفاضه آثاره السيئة التي تهدد كيان الأسرة بالدمار والانحلال، واضطراب السلوك بين أفرادها، ومن أخطر آثاره إشاعة الشذوذ الجنسي، وانتشاره بين الناس، ومن الطبيعي أنه ليس شيء أخطر على الإنسانية، ولا أفتك بها من إشاعة الفوضى الجنسية، فيها تضاع الأنساب، وتنهار قواعد الأخلاق، وقد وضع الإسلام جريمة الزنا في صف الشرك باللّه، وقرنها مع جريمة قتل النفس التي صانها الله وتوعّد بالخلود في النار لمن يقترفها قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ الله إِلهاً آخَرَ، وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ الله إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ يَلْقَ أَثاماً۞ يُضاعَفْ لَهُ الْعَذابُ يَوْمَ الْقِيامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهاناً۞ إِلَّا مَنْ تابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صالِحاً ﴾[1].

لقد وضع الإسلام السدود والحواجز أمام جريمة الزنا فأمر بإخفاء الزينة صيانة للمرأة قال تعالى: ﴿ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا ما ظَهَرَ مِنْها ﴾[2] وحرم إثارتها الانتباه والتدليل على جمالها وزينتها قال تعالى: ﴿ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ ﴾[3] كما منع من خلو الرجل مع المرأة الأجنبية، قال الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله: «لا يخلونّ أحدكم بامرأة إلّا مع ذي محرم» وحرّم ملامسة المرأة الأجنبية ففي الحديث: «لأن يطعن أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له» وجعل صلاة المرأة في بيتها كصلاتها في المسجد، كل ذلك صيانة لها من الاختلاط الذي يدفعها إلى السقوط في حمأة الرذائل، وفقدانها كرامتها وعزتها وشرفها.

إن الإسلام بجميع أجهزته وطاقاته

(١) الفرقان: الآيات ٦٨-٧٠.

(٢) النور: الآية ٣١.

(٣) النور: الآية ٣١.

يحارب الشذوذ الجنسي، ويحارب الفوضى الغريزية ويناهض جميع الوسائل التي تؤدي إلى سقوط المرأة في حمأة الرذائل، ويطالب بالنهوض بها إلى أرقى المستويات، يريد أن تكون ربة عائلة، ومربية جيل، وسيدة كريمة تحاط بهالة من العزة والكرامة... ولكن الحضارة المادية الحديثة قد أغرت المرأة، وحبّبت لها الإثم والفجور فأخرجتها من ذلك الميدان المشرق إلى حياة كريهة تحفّها الضعة والهوان ووخز الضمير.

لقد سرت في العالم الغربي موجات رهيبة من الفوضى الجنسية، فلم تعد المرأة الغربية تعرف معنى للعفة والكرامة، والحياء والأمانة، ولم تفقه بحكم تربيتها الحديثة أي مغزى أصيل لهذه الحياة سوى إشباع رغباتها الجنسية وقد انتشر البغاء في الغرب انتشاراً فظيعاً يندى له جبين الإنسانية، انتشر في المنتديات والمعاهد والمحلات العامة، ولم يعد ذلك أمراً قبيحاً ينكره المجتمع أو ينفر منه، فقد تسالم على تشجيعه وإقراره، يقول بولا بيورو: «إن هذا العمل - أي احتراف البغاء - قد أصبح في زماننا نظاما محكم التركيب يجري بما شئت من التنظيم في أيدي الموظفين، والعاملين المأجورين، ويعمل فيه أرباب القلم وناشرو الكتب، والخطباء، والمحاضرون والأطباء والقابلات والسياح التجاريون، ويستعمل له كل جديد من فنون النشر والعرض والإعلان». ويقول (جورج أسكان): «أصبح تعاطي الفجور، وعدم التصون واتخاذ الأطوار السوقية معدودا عند فتاة العصر من أساليب العيش المستجدة».

وقد عجت صحفهم اليومية والسياسية ومجلاتهم وكتبهم بإغراء المرأة ودفعها إلى التجارة بجسدها، وخلعها ثوب العفة والطهارة، وقد نجم عن ذلك تسيّب المرأة وتحلّلها، واندفاعها وراء الشهوات والمغريات كلما ملّت من رفيق، اتخذت خدنا آخر لها، وقد فسدت بذلك شؤون الأسرة، وعمّ الاضطراب والانحراف جميع أعضائها.

إن البغاء آفة كبرى على المجتمع، فإنه من أهم العوامل التي تنخر في كيانه وتقضي على أصالته وتماسكه،

فالمجتمع الـذي يصاب بهذا الـداء الوبيل تنتشر فيه الأمـراض الزهرية كالقرحة الرخوة، والسفلس، والسيلان المنوي، وهي مما توجب تدمير الصحة العامة، وتعريض الإنسان للإصابة بكثير مـن الأمـراض المهلكة، كما تقضي على تماسك الشخصية، وإزالة جميع أرصدتها الأخلاقية والأدبية.

لقد انتشر هـذا الـداء فـي كثير مـن مناطق العالم، فالمستشفيات، والمؤسسات الصحية، ودور عيادات الأطباء الخاصة تستقبل كل يوم سيلا عارما من المصابين به، وبالرغم من المعالجات الحديثة لـه كالبنسلين وغيره، فإنه قد انتشر بصورة هائلة، وكان من آثاره الإصابة (بالهستريا) وقد ضجت المستشفيات العقلية بالمصابين من جرائه، كما كثر عدد ضحاياه في العالم، وهو في نفس الوقت يحول دون نمو الاقتصاد العام الذي يتوقف على ازدهـار الصحة، وتقدمها في البلاد، كما يستهلك قسما كبيرا من الاقتصاد العام لشراء الأدوية والعقاقير لإسعاف المصابين، وانقاذهم مما هم فيه.

ومن مظاهر الشذوذ الجنسي تفشي الحبوب المسقطة للحمل، وانتشارها بين الفتيات اللاتي يمارسن البغاء، ويخشين الحمل، وقـد انتشر ذلك بصورة مؤسفة في الجامعات والمعاهد الغربية، فقد كثر فيها الإجهاض والسقط ومن الطبيعي أن لذلك أثراً كبيراً على صحة المرأة وإرهاقها مضافا لتقليله للنسل، ومـن نتائج هـذا الانـحـراف والشذوذ كثرة اللقطاء، فقد فحشت هذه النسبة في عواصم الغرب، واهتمت الـحـكـومـات هـنـاك بـبـنـاء الملاجئ لاستقبال هذا البشر المنكوب، الذي يفقد العطف الأبوي، وهو يمنى بكثير من العقد النفسية - كما يقول علماء النفس - ومن أخطر ما يصاب به أنه يمنى بقساوة الخلق والطبع والضغينة على المجتمع ... هذه بعض الأخطار التي تنجم عن الفوضى الجنسية، وهي تهدد الأسرة بأمواج من الآثام الطاغية حتى ليوشك أن تغرق فيها.

[النظام التربوي في الإسلام]

نصائح للشباب

الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء

(أيها الشاب) لا تستبد برأيك إذ الوحيد في نفسه والمنفرد برأيه هالك حيث كان أن من الحزم لكل ذي لب ان لا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً الا بمشورة ذي الرأي الناصح ومطالعة ذي العقل الراجح فان المولى جلّ شأنه أمر بالمشورة نبيه ﷺ قوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾ الآية، المشورة حصن من الندامة، وأمان من الملامة، وقال الزعيم الأكبر سيد

الحكماء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «**نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد**»، وقال بعض الحكماء: «الرجال ثلاثة: رجل ترد عليه الأمور فيسدّها برأيه، ورجل يشاور فيما أشكل عليه وينزل حيث يأمره أهل الرأي، ورجل حائر بأمره لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً»، المشاورة راحة لك وتعب على غيرك، وقال بعض الأدباء: «ما خاب من استخار ولا ندم من استشار».

واعلم (أيها الشاب) ان المشورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا كرامة، لا يضل معهما رأي ولا ينعقد معهما حزم، وقال زعيم الأمة وسيد البشر وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله: «**استرشدوا العاقل ولا تعصوه فتندموا**»، (أيها الشاب) احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدواً، فانه يوشك ان يورطك بمشورة فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل.

اياك من مشاورة اثنين، معجب بنفسه قليل التجارب في غيره، أو كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه. وقيل في منثور الحكم: «كل شيء يحتاج إلى العقل، والعقل يحتاج إلى التجارب»، ولذلك قيل: «الأيام تهتك لك عن الأستار الكامنة». وقال بعض الحكماء: «التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة». وقال بعض الحكماء: «من استعان بذوي العقول فاز بدرك المأمول، لا تشاور الا الحازم»[1] لأن مشورة الحازم ظفر، وغير الحازم خطر. وقال بعض الشعراء:

أصف ضميراً لمن تعاشره
واسكن إلى ناصح تشاوره
وارض من المرء في مودته
بما يؤدي اليك ظاهره
من يكشف الناس لا يجد احداً
تنصح منهم له سرائره
اوشك ان لا يدوم وصل أخ
في كل زلاته تنافره

فعليك (أيها الشاب) بمشاورة سليم الفكر من همٍّ قاطع وغمٍّ شاغل فإن من عارضت فكره شواب الهموم

(١) الحازم: غير الحسود

لا يسلم له رأي ولا يستقيم له خاطر، اذا شاورت في الأمر فاختر رجلًا ان لا يكون له في الأمر المستشار غرض يتابعه ولا هوىً يساعده فإن الأغراض جاذبة والهوى صاد، والرأي اذا عارضه الهوى وجاذبته الأغراض فسد، كما قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب:

وقد يحكم الأيام من كان جاهلا
ويردي الهوى ذا الرأي وهو لبيبُ
ويحمد في الأمر الفتى وهو مخطئ
ويعذل في الاحسان وهو مصيب

فمن حاز التجارب وعرف بوفور العقل ولم يكن له في الأمر المستشار غرض وكان اهلًا للمشورة ومعدناً للرأي فلا تعدل عن استشارته اعتماداً على ما تتوهمه من فضل رأيك وثقةً بما تستشعره من صحة رؤيتك؛ فإن رأي غير ذي الحاجة اسلم وهو من الصواب اقرب لخلوص الفكر وخلو الخاطر مع عدم الهوى وارتفاع الشهوة كما قال سيد الرسل صلى الله عليه وآله: «**رأس العقل بعد الإيمان بالله التودد إلى الناس**»، وما استغنى مستبد برأيه، وما هلك احد عن مشورة فاذا أراد الله بعبد هلكة كان اول ما يهلكه رأيه. وقال الزعيم الأكبر علي بن ابي طالب عليه السلام «**الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنى برأيه**» وفي المعنى:

ان اللبيب اذا تفتق رأيه
رتق الأمور مناظراً ومشاورا
وأخو الجهالة يستبد برأيه
وتراه يعتسف الأمور مخاطرا

وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني شاور من جرّب الأمور فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وأنت تأخذه مجاناً. وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك فشاوره ليكمل لك الرأي، وقال بعض الأدباء: من استغنى برأيه ضلّ، ومن اكتفى بعقله زل. وقال بعض البلغاء: الخطأ مع الاسترشاد أحمد من الصواب مع الأستبداد.

خليلي ليس الرأي في صدر واحد
أشيرا عليَّ بالذي تريان

ولا ينبغي للأنسان ان يتصور في نفسه انه ان شاور في أمره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رؤيته حتى افتقر إلى رأي غيره، وقال منقذ الأمة سيد

البشرﷺ: «لقّحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على أموركم بالمشاورة»، وقال بعض الحكماء: اذا أشكلت عليك الأمور وتغير لك الجمهور فارجع إلى رأي العقلاء وافزع إلى استشارة العلماء ولا تأنف من الإسترشاد ولا تستنكف من الإستمداد فلئن تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد وتندم وينبغي لك أيها الشاب ان تكثر من استشارة ذوي الألباب لا سيما في الأمر الجليل فقلّما يضلّ عن الجماعة رأي أو يذهب عنهم صواب لإرسال الخواطر الثاقبة وإجالة الأفكار الصادقة فلا يعزب عنها ممكن ولا يخفى عليها جائز.

وقالت الفرس في حكمها أضعف الحيلة خير من أقوى الشدة وأقلّ التأني خير من أكثر العجلة، والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الملك برأيه عميت عليه المراشد، واذا ظفر برأي من خامل لا يراه للرأي أهلًا ولا للمشورة مستوجباً اغتنمه عفواً، فإن الرأي كالضالة تؤخذ أين وجدت ولا يهون لمهانة صاحبه فيطرح، فإن الدرة لا يضعها مهانة غائصها، والضالة لا تترك لذالة واجدها وليس يراد الرأي لمكان المشير به فيراعي قدره وانما يراد لانتفاع المستشير.

وقال بعض البلغاء: من حق العاقل ان يضيف إلى رأيه آراء العقلاء ويجمع إلى عقله عقول الحكماء، فالرأي الفذ ربما زل والعقل الفرد ربما ضلّ، وفي المعنى:

اذا بلغ الرأيُ المشورةَ فاستعنْ
برأيِ نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ
ولا تجعلِ الشورى عليكَ غضاضةً
مكانُ الخوافي قوّة للقوادم

وقالﷺ: «المُستَشِيرُ والمُستَشَارُ مؤتمنٌ»، وقيل لأحد الملوك زال عنه ملكه: ما الذي سلبك ملكك؟ قال: تأخيري عمل اليوم لغد.

اذا كنت ذا رأي فكُنْ ذا عزيمةٍ
ولا تكُ بالترددِ للرأيِ مُفسدا
فإني رأيتُ الريبَ في العزمِ هجنةً
وأنفاذُ ذي الرأيِ العزيمةَ أرشدا

[نصائح الشيخ الشباب]

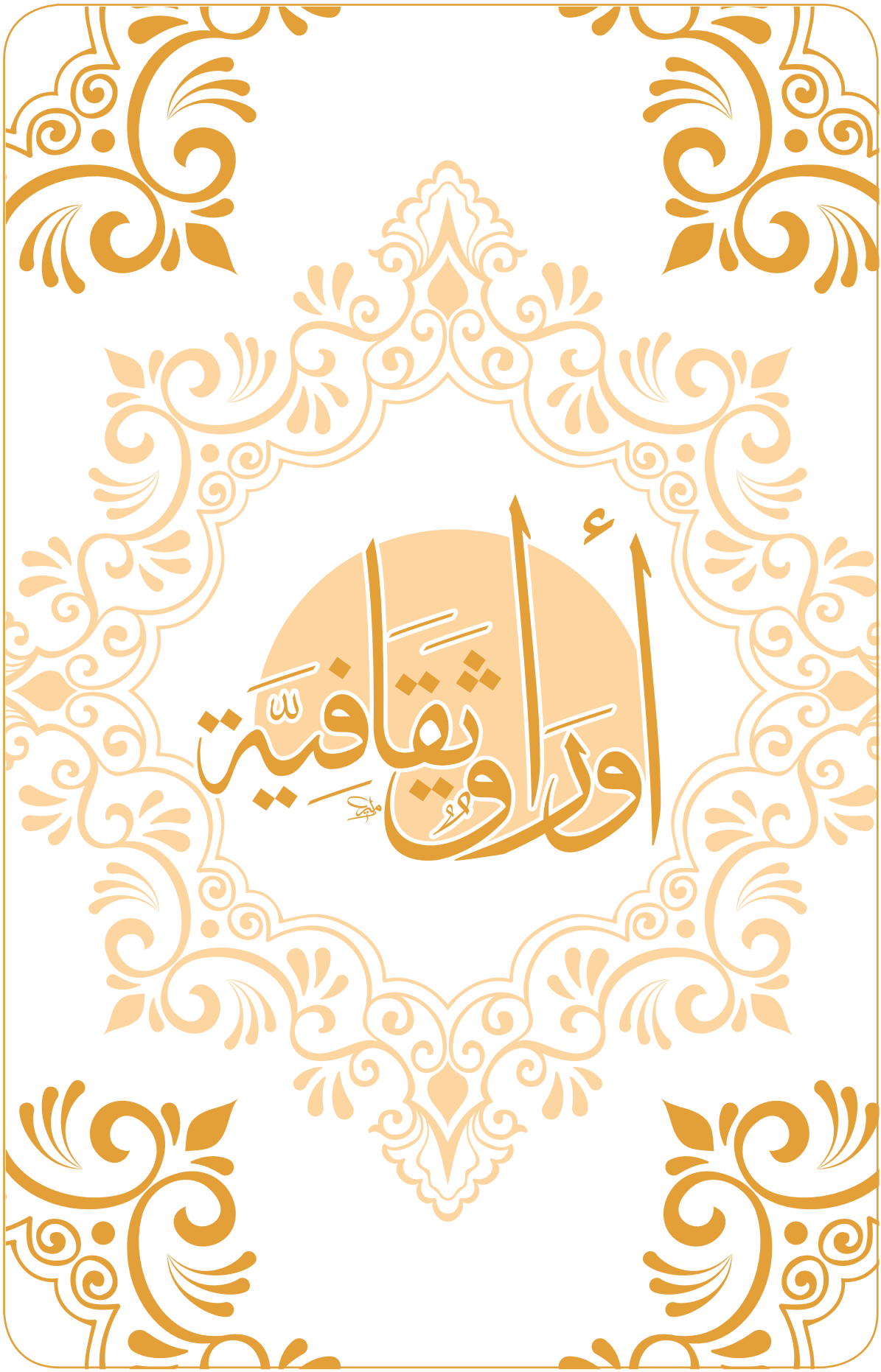
أوراد ثقافية

كلام حول نهج البلاغة

السيد محسن الأمين

ومن التحامل على أمير المؤمنين عليه السلام التماس الوجوه والطرق والوسائل لإنكار نسبة نهج البلاغة إليه وأنه من تأليف السيد الرضي كله أو بعضه، تارة بأنه ركيك العبارة ونفسه لا يوافق نفس القرشيين كما يقول الذهبي في ميزان الاعتدال وتارة بأن فيه أسجاعاً والسجع لم يكن معروفاً في ذلك العصر وتارة بأن خطبته في وصف الطاووس تناسب مذاق المتأخرين لا القدماء، وتارة بمجرد الإنكار العاري عن الحجة إلى غير ذلك مما فساده وسخافته أوضح من أن يبين. ففي كتاب (تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات المصري صفحة ٩٠) ما لفظه: ولا نعلم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيمن سلف وخلف أفصح من علي في المنطق، ولا أبلّ منه ريقاً في الخطابة، كان حكيماً تتفجّر الحكمة من بيانه، وخطيباً تتدفّق البلاغة على لسانه، وواعظاً ملء السمع والقلب، ومترسلاً بعيد غور الحجة، ومتكلّماً يضع لسانه حيث شاء، وهو بالإجماع أخطب المسلمين وإمام المنشئين، وخطبه في الحث على الجهاد ورسائله إلى معاوية

ووصف الطاووس والخفاش والدنيا وعهده للأشتر النخعي إن صح تعد من معجزات اللسان العربي وبدائع العقل البشري وما نظن ذلك قد تهيّأ له إلّا لشدة خلاطه الرسول ومر انه منذ الحداثة على الكتابة له والخطابة في سبيله، ثم قال: كلام أمير المؤمنين يدور على أقطاب ثلاثة الخطب والأوامر والكتب والرسائل والحكم والمواعظ وقد جمعها على هذا النسق الشريف الرضي في كتاب سماه (نهج البلاغة)؛ لأنه كما قال بحق يفتح للناظر فيه أبوابها، ويقرب عليه طلابها، فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد وتضيء في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل ما هو بلال كل غلة وجلاء كل شبهة والصحيح أن أكثر ما في الكتاب منحول مدخول. انتهى.

أقول: التقليد آفة للعقول ليس مثلها آفة وهو الذي حمل الأمم على عبادة الأحجار والحيوانات الصامتة والكواكب المسخرة وهم ذوو ألباب راجحة وأفهام حادة وعقول صحيحة وهو الذي حمل مشركي قريش على إنكار القرآن العظيم مع ما فيه من معجز البلاغة والفصاحة الذي بهر عقولهم حتى سموه سحرا وعلى القدح في ذات النبي صلى الله عليه وآله أكمل الخلق مع ما عرفوه قبل النبوة من علو صفاته ورجاحة عقله فقالوا: ساحر أو مجنون وهو الذي حدا بالأمم السالفة إلى إنكار نبوة الأنبياء مع سطوع برهانهم فكانت أكبر حجة لهم ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾... التقليد.

التقليد آفة للأفهام وأي آفة وحجاب لنور العقل وأي حجاب، الصبي في صباه إذا قال شيئا وسئل عن حجته فيه يقول هكذا قال أبي أو قالت أمي والتلميذ أكبر حجة له هكذا قال معلمي.

جمع السيد الرضي وهو من أهل بغداد كتابا من كلام أمير المؤمنين عليه السلام سمّاه نهج البلاغة اختاره من كلامه اختيار اليتيمة من بيت الجواهر في عصر كانت فيه مكتبات بغداد حافلة بملايين المخطوطات من

كتب الإسلام التي جمعت في قرون وكانت مكتبة أخيه المرتضى التي له النظر فيها الوحيدة من بينها مع ما اجتمع عنده وعند أخيه في مكاتبهما الخاصة من مئات الألوف من نفائس الكتب. ولم يكن اسم أحق بمعناه من هذا الاسم بمسماه وقد اشتهر الكتاب في عصر جامعه وانتشر ولم يكن جامعه من الخاملين في عصره ولا الكتاب مما يستهان به ولا منشئه من المغمورين فلو كان أكثر ما فيه منحولاً مدخولاً كما يقول الأديب الزيات في تاريخ الأدب العربي لرده علماء ذلك العصر وما قبلوه وبينوا وجه الانتحال فيه وأظهروه فشاع وذاع لكننا لم نجدهم نبسوا ببنت شفة، بل تلقوه بالقبول والإعظام حتى خلف من بعدهم خلف رأوا فيه الخطبة الشقشقية التي إن لم تزد عن سائره فصاحة وبلاغة وحسن أسلوب فلا تنقص والتي يعلم كل ناظر منصف فيها أن هذا الثمر من ذلك الشجر، وهذه الدرة من تلك الدرر فوجدوا فيها ما يخالف تقليدهم الموروث من تصريحه بأنه أحق ممن تقدمه بالخلافة والإمامة فقامت لذلك قيامتهم ورأوا أحسن وسيلة للدفاع عن تقليدهم إنكار أن تلك الخطبة من كلامه. ثم رأى قوم أن إنكارها وحدها يوجب الظن والتهمة فحاولوا إنكار الكتاب برمته وجاء آخرون فرأوا أن إنكاره برمته قد لا يمكن فلجأوا إلى القول بأن فيه المدخول وسرى هذا الداء إلى أدباء العصر وفضلائه والذين أخذوا على أنفسهم نبذ التقليد ولكنهم وقعوا فيه من حيث لا يعلمون فليس كل من يريد نفي صفة عنه يمكنه ذلك حتى قال الشيخ محيي الدين الخياط وهو من الممتازين في هذا العصر بالفضل والأدب والتنقيب: لولا مازج فيه....

وجاء الفاضل الزيات الذي يريد أن يحيي تاريخ الأدب العربي فحكم حكما جازما قاطعا باتا بأن أكثر ما فيه منحول مدخول ولم يأتِ على ذلك ببينة ولا برهان سوى اعترافه بأنه بحق يفتح للناظر فيه أبواب البلاغة ويقرب عليه طلابها وسوى نقلة

الإجماع على أنه أخطب المسلمين وإمام المنشئين وبأن خطبه وعهده للأشتر تعد من معجزات اللسان العربي وبدائع العقل البشري، لكن قلمه لم يطاوعه على الجزم بنسبة عهد الأشتر إليه فأردفه بقوله: إن صح وليت شعري ما الذي رابه من صحته أكونه من معجزات اللسان العربي؟ ومن أحق بمعجزاته من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ أم كون ناقله الشريف الرضي ومن أثبت منه نقلا وأصدق قيلا وأثبت عدالة وتقوى؟ وليس في العهد ما في الشقشقية لينافي التقليد الموروث وليت شعري كيف صح له أن يحكم هذا الحكم الجائر ونهج البلاغة مجموع من كتب تفوت الحصر ومنتخب جل كلامه القصير من كلام طويل فهل أطلع على جميع الكتب والخطب والرسائل وبحث عنها فوجدها مكذوبة.

وهذه شهادة على النفي غير مقبولة ومن ذا الذي يستطيع الجزم بكذب كلام كثير كهذا بمجرد رؤيته.

وقد أدى حب نصرة المعتقد إلى أن يقول الذهبي الدمشقي في ميزانه البعيد عن الاعتدال: إنّ كلام نهج البلاغة ركيك وأنه لا يشابه كلام القرشيين مع أنه لم يعرف أن جامعه الرضي أو المرتضى وهذا ليس بعجيب أن يقع مثله من البشر بعد ما رأينا من جعل كلام الله تعالى القرآن باطلاً وشعراً، وهكذا عمد إخواننا هؤلاء إلى أعظم مفخرة من مفاخر الإسلام فأنكروها وأبطلوها وبرئوا منها. سامحكم الله أيها الإخوان أنكم لم تستطيعوا ولن تستطيعوا إخمال ذكر نهج البلاغة والحط من قدره كما لم يستطع أحد الحط من قدر القرآن لا في عصر النبي صلى الله عليه وآله ولا من المبشرين في هذا العصر فالشمس لا تحتاج بعد نورها إلى شاهد ومعرف.

إن نهج البلاغة المكذوب على علي عليه السلام بزعمكم أو الذي هو ركيك العبارة عند الذهبي الدمشقي أو الذي أكثره منحول مدخول على رأي الفاضل الزيات قد شرح حتى اليوم

بعشرات الشروح وطبع منها الألوف وطبع منه الملايين.

ليس في إمكان الشريف الرضي مع علو قدره ولا غيره أن يأتي بما يضارع نهج البلاغة وكلام الرضي كثير معروف مشهور لا يشبه شيء منه نهج البلاغة ولا يدانيه.

إننا نرى الفاضل الزيات لم يخل من شبه التدافع في كلامه فهو يسلم بأنّ نهج البلاغة بحق يفتح للناظر فيه أبواب البلاغة ويقرب عليه طلابها وأنّ فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ الزاهد ويضيء في أثنائه من الكلام في التوحيد والعدل نوراً ساطعاً يجلو كل شبهة وأنّ عليا بالإجماع أخطب المسلمين وإمام المنشئين وأنّ خطبه في الحث على الجهاد ورسائله إلى معاوية ووصفه الطاووس والخفاش والدنيا وعهده للأشتر تعد من معجزات اللسان العربي ثم يحكم حكما جازما بأنّ كثيرا مما فيه منحول مدخول.

وإذا رأينا رجلا قاده إنصافه وطبعه إلى الاعتراف بنهج البلاغة والثناء عليه علقت على كلامه الشروح والحواشي بأكثر مما يعلق على الأقوال الباطلة وكتب الضلال بل كثير من ذلك نشر واشتهر ولم يعلق عليه أحد حرفاً واحداً.

هذا الفاضل الآلوسي يقول في كتابه (بلوغ الإرب في معرفة أحوال العرب: ج٣، ص١٨٠): هذا كتاب نهج البلاغة قد استودع من خطب الإمام علي بن أبي طالب (سلام الله عليه) ما هو قبس من نور الكلام الإلهي وشمس تضيء بفصاحة المنطق النبوي اهـ.

ولكن المعلق على الكتاب المذكور الشيخ محمد بهجة الأثري لم تهضم طبيعته هذا الكلام ولم يستطع السكوت عليه فعلّق عليه بهذه العبارة: كان ابن سيرين يرى عامة ما يروون عن علي (رضي الله عنه) كذباً لا أصل له ولا سند، قال الشيخ العلامة المقبلي في العلم الشامخ: وصدق ابن سيرين رحمه الله فإن كل قلب سليم وعقل غير زائغ عن الطريق القويم ولب تدرب

في مقاصد سالكي الطريق المستقيم يشهد بكذب كثير مما في نهج البلاغة الذي صار عند الشيعة عديل كتاب الله بمجرد الهوى الذي أصاب كل عرق منهم ومفصل، وليتهم سلكوا مسلك جلاميد الناس وأوصلوا ذلك إلى علي برواية يسوغ عند الناس وجادلوا عن رواتها ولكنهم لم يبلغوا بها مصنفها... اهـ.

فهذا نموذج من إنصاف هؤلاء وتثبتهم وتخرجهم، هو يروي عن ابن سيرين بغير أصل ولا سند حكماً عاماً لا يقبل العقل صدقه وشهادة على النفي ويروي عمّن يسميه العلامة المقبلي تصديقاً لهذا الحكم بغير حجة غير التشجيع البارد، بل بمجرد الهوى الذي خالط عقل المقبلي وقلبه ولحمه ودمه فضلًا عن عروقه ومفاصله.

[أعيان الشيعة]

السيد محمد رضا الجلالي

إن التشيع وفي عصر الإمام زين العابدين عليه السلام -خاصة- كان يواجه صعوبات بالغة الشدة، حيث كان الظلم مستوليا على كل المرافق والمقدرات، ولم يكن بالإمكان القيام بأية مقاومة إيجابية، أو محاولة.

فآخر ثورة تلك التي أعلنها الإمام الحسين عليه السلام في صد التعدي الغاشم، كان قد قضي عليها، وعلى جميع عناصرها بشكل دموي، وبقي منهم (غلام) فقط، وهو (الإمام زين العابدين عليه السلام).

وكانت الأوضاع الاجتماعية تسير باتجاه خطر، خطورة الإجهاز على أساس النهضة، وإخماد روح الوثبة الإسلامية، بل القضاء على كل تفكير من هذا القبيل، وتناسيه إلى الأبد.

وأبرز نموذج لهذه المشكلة، أن الإمامة - وهي الجهاز الوحيد الباقي من كل مرافق الحكومة الإسلامية العادلة- أصبحت على شرف التناسي عن الأذهان؛ لأن نظام الحكم الأموي استولى على كل أجهزة الإعلام من المنبر، والمحراب، والمسجد، واشترى ذمم كل ذوي النفوذ في الرأي العام من قاضٍ وحاكم ووالٍ، وأصبحت كل الإمكانات في قبضة (الخلافة!) وفي خدمة (الخليفة)! أما الإمام زين العابدين، فقد بقي وحيدا في مواجهة

المشكلات، مع أن الإرهاب والذعر كان يتحكم في الرقاب، ويستولي على النفوس.

في مثل هذه الظروف أصبح (الدعاء) ملجأ للإمام وللإمامة، لا، بل موقعا اتخذه الإمام زين العابدين عليه السلام للصمود والهجوم.

صمود ماذا؟

- صمود ذلك الفكر، وذلك الهتاف، وذلك الإيمان، الذي جندت الدولة الأموية كل الإمكانات في العالم الإسلامي ضده.

والهجوم على من؟

- للهجوم على سلطة تمكنت من كل قواعد القدرة، وسلبت من الأمة كل إمكانات المقاومة!

فكان الدعاء هو سلاح النضال.

ومعنى ذلك: أنه إذا طوقت مقاومة، أو فكرة، أو نضال، وأدت بها الظروف إلى مثل ما حصل في (كربلاء) إذ تعرض كل رجالها للإبادة الدامية، ولم يبق سوى رجل (واحد) ووقع كل النساء والصغار في الأسر، وتحت القيود، وإذا لم تبق أية إمكانية للعمل المسلح، والدفاع عن الحق بالقوة، فإن هذا الرجل الوحيد لا تسقط عنه المسؤولية.

إنه مسؤول أن يدرب الأمة على القناعة بأن على عاتقه إحياء الفكرة، وتحريك الأحاسيس، والدفاع عن ذلك الحق، ولو بلسان الدعاء، وجعل الرسالة مستمرة ولو بالأمل والرجاء، ونقلها كذلك إلى الأجيال.

إن الإمام زين العابدين عليه السلام وإن كان قد فقد إمكانات التضحية والنضال المستميت إلى حد الشهادة، كما فعل أبوه الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وفقد إمكانات العمل الاجتماعي الحر، كما قام به ابنه الإمام الباقر وحفيده الإمام الصادق عليهما السلام، لكنه لم يفقد فرصة المقاومة عن طريق هذه الحربة النافذة في أعماق أشلاء النظام الحاكم، والقابلة للتغلغل في أوساط المجتمع الفاسد، والسارية مع كل نسيم، والممكنة في كل الظروف، والتي اسمها (الدعاء).

وإن قيل: إن هذا هو من أضعف فروض النضال والجهاد؟

قلنا: نعم، لكن الدعاء أمر ضروري حتى لو كان الإنسان في غير هذه الحال، فلو كان بإمكانه النضال والمقاومة، بأشكال أخر، أقوى وأقدر، فإن من المستحيل استغناؤه عن الدعاء، وليس بالإمكان أن يمنع من هذا النضال، ولو كان أضعف، فلا بد له أن يكون قادرا على عملية الدعاء، وأن يضمر في نفسه الارتباط بربه، وأن يعلن عن أفكاره وعقائده بأسلوب المناجاة والدعاء، ويعبّر عن آماله وآلامه، ومكنون نفسه، وأن يبرز هتافاته، وأن يطالب برغباته المهضومة، والمغصوبة على أن من الضروري لكل مناضل أن يركز معتقداته، ويحدد مواقعه الفكرية ويحصن أصول دينه، حتى يكون على بصيرة من أمره، فيوحي إلى ذاته بالحق، ويوصي نفسه بالصبر عليه، بالدعاء.

وليس في المقدور لأية سلطة حاكمة أن تسلبه هذه القدرة، أو أن تحاسبه على هذه الإرادة.

وفي مثل هذا التركيز والتحديد يكمن سر خلود الإنسان، عندما يكون مهددا بالإبادة.

والنطق بالدعاء، وسيلة للإعلان عن المعتقدات وتبليغ الرسالات وتنمية الشعور بالمسؤوليات، في أحلك الظروف وأحرجها، وبثّ روح النضال والمقاومة، وتوثيق الرابطة الفكرية، وتأكيد التعهدات الاجتماعية، وتثبيت العواطف الصالحة؛ حبا بالتولي والإعلان عنه، وبغضا بالتبري وإبدائه، وتعميق الوعي العقائدي بين الأمة، وتهيئة الأجواء - روحيا وفكرياً وجسمياً - للإعداد للمسؤوليات الكبرى، كل ذلك في ظروف جندت فيه القوى المضادة، للقضاء على الأهداف كلها.

إن الإمام في مثل ذلك عليه أن يخطط للعمل، عندما لا يستطيع المؤمن من القيام بأي عمل، حتى الموت الشريف، بعزة وكرامة، حيث لا طريق إلى اختيار الشهادة كسلاح أخير، لأن الشهادة - أيضاً- تحتاج إلى أرضية وظروف مؤاتية، ومعركة،

كي يتسنى للشهيد أن يفجر بدمه الوضع، ويكسر الصمت، وإلّا فهو الموت الصامت غير المؤثر، المهمل الذي لا يستفيد منه إلّا العدو.

والإمام زين العابدين عليه السلام أصبح قدوة للنضال في مثل هذه الظروف بكل سيرته، ووجوده، ومصيره، وسكوته، ونطقه، وخلقه، ورسم بذلك منهاجاً للعمل في مثل هذه الأزمات.

إنه رسم الإجابة عن كل الأسئلة التي تطرح: عن العمل ضد إمبراطورية ضارية، مستحوذة على كل المرافق والقدرات؟!

وعن الصمت الثقيل القاتل، المطبق، الذي يستحيل فيه التفوه بكلمة الحق، كيف يمكن أن يكسر؟

وعن أسلوب شخصي لعرض جميع الطلبات والقيم والعواطف؟

إن الصحيفة السجادية هي: كتاب الجهاد عند الوحدة ! وكتاب التعبير عند الصمت ! وكتاب التعبئة عند النكسة !

وكتاب الهتاف عند الوجوم!

وكتاب التعليم بالشفاه المختومة!

وكتاب التسلح عند نزع كل سلاح!

وهو قبل هذا وبعده، كتاب (الدعاء).

إن الدعاء - كما يقول الدكتور الفرنسي الكسيس كارل -: (تجل للعشق والفاقة) وقد أضاف الإسلام إلى هذين: (التوعية).

وفي مدرسة الإمام زين العابدين عليه السلام يأخذ الدعاء بعدا رائعا هو تأثيره الاجتماعي الخاص.

وبكلمة جامعة: إن الدعاء في مدرسة الإمام زين العابدين - في الوقت الذي يعد كنزا لأعمق التوجهات، وأحر الأشواق، وأرفع الطلبات - منهاج يتعلم فيه المؤمن تخطيطاً متكاملاً للوجود والتفكير والعمل، على منهج الإمامة وبقيادة حكيمة تستلهم التعاليم من مصادر الوحي.

[جهاد الإمام السجاد عليه السلام]

التنذير

ابن أبي الإصبع

وهو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة، أو مجنة مستطرفة، وهو يقع في الجد والهزل ومن لطيف ما جاء منه في الجد وبديعه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ فانظر مبالغته سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالجبن والخوف حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم عند النظر كحالة من يغشى عليه من الموت، ولو اقتصر سبحانه وتعالى على قوله: ﴿كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ﴾ كان كافياً في المقصود، لكن أراد الزيادة على المقدار الذي قصد من المبالغة، فأوغل بقوله سبحانه: ﴿مِنَ الْمَوْتِ﴾ إذ حالة المغشى عليه من الموت أشد من حالة غيره، ولا شك في أن المنافقين من الجبن والخوف من الموت بهذه المثابة، وذلك الذي دعاهم إلى النفاق، فإن من كان قوي النفس شجاع القلب، لا يرتضي النفاق، إذ هو لا يخشى الموت ولا يخافه، وفي هذا الكلام من طريف التنذير لمن يتدبره ما يبهرج كل نادرة.

وأما ما جاء منه في الهزل فكقول أبي تمام فيمن سرق له شعراً، وهو محمد بن يزيد

الرَّقي [الخفيف]:

مَنْ بنو بحدلٍ مِن ابن الحباب ... مَنْ بنو تغلب غداةَ الكلابِ
مَنْ طفيلٍ مَنْ عامرٍ أو من الحا ... رث أمْ مَنْ عتيبةَ بنِ شهابِ
إنما الضيغمُ الهَصُورُ أبو الأشـ ... ـبال هتّاكُ كلِّ خِيسٍ وغابِ
مَنْ عدت خيلُه على سرح شعري ... وَهْـوَ للحينِ راتـعٌ في كتابِ
يا عذارى الكلام صِرتنَّ مِن بعـ ... ـدي سبايا تبعنَ في الأعرابِ
لو ترى منطقي أسيراً لأصبحـ ... ـت أسـيراً ذا عـبرةٍ واكتئابِ

ثم ختمها بقوله:

طـال رغبي إليك مما أقاسيـ ... ـه ورغبي يا ربِّ فاحفظْ ثيابي

وكقوله في هجاء موسى بن إبراهيم الرافقي [كامل]:

عجباً لقوم يسمعون مدائحي ... لك لم يقولوا قم فأنت مصابُ
نـبزوا بكـذاب مسيلمة فقد ... غلطوا ومانوا بل أنا الكذابُ

وما رويت ألطف من قول ضياء الدين موسى بن ملهم الكاتب في الرشيد عمر الفوي وكان به داء الثعلب وهو من نوادر ما قيل في أقرع [وافر]:

أقـول لمعشر غلطوا وغضوا ... من الشيخ الرشيد وأنكروه
هـو ابـن جـلا وطـلاع الثنايا ... متى يضع الـعـمامـة تعرفوه

والفرق بين التنذير وما قبله من باب التهكم وما يلتبس بالتهكم من الهزل الذي يراد به الجد أن التنذير ظاهره وباطنه هزل بخلاف البابين، والله أعلم.

[تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر]

مهمة النقد ووظيفته وغايته

مصطفى عبد الرحمن إبراهيم

يمكن القول إن أهمية النقد ووظيفته وغايته تتلخص فيما يلي:

أولاً: دراسة العمل الأدبي: وتمثله وتفسيره وشرحه، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية، وتقويمه فنياً وموضوعياً[1].

وهـذا يعني أن وظيفة النقد ليست هينة، وليس في مقدور كل شخص ان يضطلع بمهامه، أو أن يتصدى لتقويم الأدب وإبـداء رأي فيه؛ لأن الناقد هو الشخص الوحيد الذي يمكنه أن يقوِّم العمل الأدبي فنياً وموضوعياً.

ثانياً: تعيين مكان العمل الأدبي في خط سير الأدب، وتحديد مدى ما أضافه الى التراث الأدبي في لغته، وفي العالم الأدبـي كله، وأن نعرف : أهـو نموذج جديد أم تكرار لنماذج سابقة مع شيء من التجديد؟ وهل ما فيه من جدة يشفع له في الوجود؟ أو هو فضلة لا تضيف لرصيد الأدب شيئاً[2].

(١) دراسـات في النقد الأدبي، د. محمد زكي العشماوي: ص٢١.

(٢) النقد الأدبي – أصوله ومناهجه – لسيد قطب: ص ١٣٤.

ثالثاً: تحديد مدى تأثر العمل الأدبي بالمحيط ومدى تأثيره فيه – وهذه ناحية من نواحي التقويم الكامل للعمل الأدبي من الناحية الفنية – فضلا عن الناحية التاريخية – فإنه من المهم ان تعرف ماذا أخذ هذا العمل الأدبي، ومدى الاستجابة العادية للبيئة[١].

وقد فطن لهذه الغاية كثير من نقاد العرب القدماء والمحدثين، فمن القدماء على سبيل المثال ابن سلام الذي أدرك تأثير البيئة على الشاعر، فجمع شعراء القرى (مكة والمدينة والطائف والبحرين واليمامة) في حديث واحد[٢]، ومن المحدثين العقاد في كتابه – شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي – الذي أقر في بدايته أن «معرفة البيئة ضرورية في نقد كل شعر، في كل أمة، في كل جيل»[٣].

رابعاً: تصوير سمات صاحب العمل الأدبي – من خلال أعماله – وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية، وكشف العوامل النفسية التي اشتركت في تكوين هذه الأعمال، ووجهتها الوجهة المعينة، وذلك بلا تمحّل ولا تكلّف ولا جزم كذلك حاسم[٤].

خامساً: النهوض بالأدب، وتوجيهه الى الكمال، برسم مناهجه، وتصحيح أخطائه، واستظهار مواطن حسنه.

سادساً: إنه يساعد قارئ الأدب على فهمه، ويعينه على تذوقه، ويحبب الناس في الفن، ويغرس فيهم الإحساس بالجمال[٥].

[في النقد الأدبي القديم عند العرب]

(١) النقد الأدبي – أصوله ومناهجه – لسيد قطب: ص١١٣.
(٢) طبقات فحول الشعراء لابن سلام: ج١، ص٢١٥.
(٣) شعراء مصر وبيئاتهم في الجيل الماضي: ص ٣.
(٤) النقد الأدبي لسيد قطب: ص١١٣.
(٥) دراسات في النقد الأدبي: ص٢٢.

تلك المعاهد

الشيخ جعفر الخطي

مـعـاهـدُهـم بـالأبـرقـينِ هـوامـدُ ... رُزقـنَ عـهـادَ المـزنِ تـلـكَ المعاهدُ

ولـولا احمـرارُ الـدمعِ لانبعثتْ بها ... سـحـائـبُ دمـعٍ بـالحـنـينِ رواعـدُ

وقـفـتُ بـهـا والـوحـشُ حـولي كأنني ... بـهـنَّ مـلـيـكٌ حـولَـه الجـنـدُ حـاشـدُ

أسَرِّحُ في أكنافِها الطرفَ لا أرى ... سوى أشعثٍ شجّتْهُ أمسِ الولائدُ

وإلا ثـلاثـاً كـالحـمائـم جـثَّـماً ... ونُـؤْيـاً عفته الـداهـيـات الـعـوائـدُ

وأسـألُهـا عـن أهـلِـهـا وهـي لم تحُرْ ... جواباً وهل يَستنطِقُ العُجْمَ ناشدُ

لك الخيرُ لا تذهبْ بحلمِكَ دمنةٌ ... محاها البِلى واستوطَنتْها الأوابـدُ[1]

فـمـا هـيَ إن خـاطـبـتـهـا بمجيبةٍ ... وإنْ جاوبتْ لم تُشْفِ ما أنت واجدُ

ولكن هَـلُـمَّ الخـطـبُ في رزءِ سيدٍ ... قـضى ظـمـأً والمـاءُ جـارٍ وراكـدُ

كـأني بـه في ثـلّـةٍ مـن رجـالـهِ ... كـما حـفَّ بالليثِ الأسـودُ اللوابدُ

يخـوضُ بهـم بـحـرَ الـوغـى وكـأنـه ... لـوارِدِهـم عـذبُ المجاجةِ بـاردُ

اذا اعتقلوا سُمرَ الرماحِ وجـرّدوا ... سيوفاً أعـارتْـهـا الـبـطـونَ الاسـاودُ

فـلـيـس لهـا إلا الـصـدورُ مـراكـزٌ ... ولـيـس لهـا إلا الـرؤوسُ مغـامـدُ

يـلاقـون شـدّاتِ الـكـماةِ بـأنـفـسٍ ... إذا غضبتْ هانتْ عليها الشدائدُ

(١) الاوابد: الطير المقيمة بأرض شتاء وصيفاً، أو الوحش.

إلى أن ثوَوا في الرمل صرعى كأنهم ... نخيلٌ أمالتهُنّ أيدٍ عواضدُ

أولئك أربابُ الحفاظ سمتْ بهم ... الى الغاية القصوى النفوسُ المواجدُ

ولم يبقَ إلا واحدُ الناسِ واحداً ... يكابدُ من أعدائه ما يكابدُ

يكرُّ فينثالون عنه كأنهم ... مهاً خلفهُنّ الضارياتُ شواردُ

يحامي وراءَ الطاهرات مجاهداً ... بأهلي وبي ذاك المحامي المجاهدُ

فما الليث ذو الاشبالِ هيجَ على الطوى ... بأشجعَ منه حينَ قلّ المساعدُ

ولا سمعت أُذني ولا أذنُ سامعٍ ... بأثبتَ منه في اللقا وهو واحدُ

إلى أن أسأل الطعنُ والضربُ نفسهُ ... فخرَّ كما أهوى إلى الأرضِ ساجدُ

فلهفاً له والخيلُ منهن صادرٌ ... خضيبُ الحوامي من دماهُ ووارِدُ

فأيّ فتًى ظلّت خيولُ أميةٍ ... تعادي على جثمانهِ وتطاردُ

وأعظمُ شيءٍ أنّ شِمْراً له على ... جناجن صدرِ ابن النبي مقاعدُ

فشلّت يداهُ حين يفري بسيفهِ ... مقلّدَ من تلقى إليه المقالدُ

وإنّ قتيلا أحرز الشمر شِلوهُ ... لأكرمُ مفقودٍ يبكّيه فاقدُ

لَقَىً بمحاني الطف شلواً ورأسُهُ ... ينوءُ به لَدْنٌ من الخطّ وارِدُ

ولهفي على أنصاره وحماتِه ... وهم لسراحينِ الفلاةِ موائدُ

مضمَّخةٌ أجسادُهم فكأنما ... عليهنّ من حمرِ الدماء مجاسدُ

تضيء به أكنافُ عرصةِ كربلا ... وتظلمُ منه أربعٌ ومشاهدُ

فيا كربلا طلتِ السماءَ وربما ... تناول عفواً حظَّ ذي السعيِ قاعدُ

لأنت وإن كنت الوضيعةَ نلتِ من ... جوارحهم ما لم تنله الفراقدُ

سررتِ بهم إذ آنسوكِ وساءني ... محاريبُ منهم أوحشتْ ومساجدُ

بذا قضتِ الأيامُ ما بينَ أهلِها ... مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ

[أدب الطف]

بعض الحقوق

الإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

وَأَمّا حَقّ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالْوَلَاءِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلّ الرّقّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزّ الْحُرّيّةِ وَأُنْسِهَا وَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَلَكَةِ وَفَكّ عَنْكَ حِلَقَ الْعُبُودِيّةِ وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ الْعِزّ وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الْإِنْصَافِ وَأَبَاحَكَ الدّنْيَا كُلّهَا فَمَلّكَكَ نَفْسَكَ وَحَلّ أَسْرَكَ وَفَرّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبّكَ وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التّقْصِيرَ فِي مَالِهِ فَتَعْلَمَ أَنّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَأَحَقّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ وَمُكَافَتِكَ فِي ذَاتِ اللّهِ فَلَا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ مَا احْتَاجَ إِلَيْكَ.

وَأَمّا حَقّ مَوْلَاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنّ اللّهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِراً وَمَعْقِلًا وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبَباً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَبِالْحَرِيّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النّارِ فَيَكُونُ فِي ذَلِكَ ثَوَابٌ مِنْهُ فِي الْأَجِلِ وَيَحْكُمُ لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ فَإِنْ لَمْ تَقُمْ بِحَقّهِ خِيفَ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَطِيبَ لَكَ مِيرَاثُهُ وَلَا قُوّةَ إِلّا بِاللّهِ.

وَأَمّا حَقّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْشُرَ لَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَ تُخْلِصَ لَهُ الدّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سُبْحَانَهُ فَإِنّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلَانِيَةً ثُمّ إِنْ أَمْكَنَ مُكَافَأَتُهُ بِالْفِعْلِ كَافَأْتَهُ وَإِلّا كُنْتَ مُرْصِداً لَهُ مُوَطّناً نَفْسَكَ عَلَيْهَا.

[رسالة الحقوق]